

اقرأ

طه حسين

أحلام شهرزاد



دار المعارف بمصر

أحمد م. شيرازي

طه حسين

أعلام شعراء

١
اقرا
دارالمعارف بمطو

أقرأ ١ - سنة ١٩٤٣

سنة ١٩٥٤

سنة ١٩٦٥

ملتم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

تقدمة

عنوان هذه السلسلة خير ما يوجه إلى الأفراد والجماعات ،
في جميع الأمم والشعوب ، وفي الشعوب العربية بوجه خاص ،
بل هو خير ما وجه إلى الإنسان منذ تحضر إلى الآن .
وبهذا الفعل القصير الخطير بدئ تتريل القرآن؛ فكان أول
ما خطوب به النبي (ص) وخطوب به الناس من بعده ،
هو هذا الأمر الكريم بالقراءة . ونحسب أن هذا هو الذي
دعا صديقنا الأستاذ أحمد أمين إلى اختيار هذا العنوان لهذه
السلسلة فأثرناه كلنا متيمين به ، مجمعين عليه .

وكان صاحب المنطق — كما يسميه الجاحظ — يقول إن
الإنسان حيوان ناطق ، وكان النطق عنده فيما يحدثنا الفلاسفة
أشمل من إدارة اللسان في الفم باللفظ الذي يبلغ السمع ، فينقل
إليك ما في نفس محدثك . كان النطق عند أرسطاطليس يدل
على التفكير والتعبير جميعاً . ولكن أرسطاطليس لم يعرف
الإنسان بأنه حيوان ناطق فحسب ، وإنما وصفه بأنه مدني

بالطبع كما ترجم القدماء ، أو أنه اجتماعى بالطبع كما يترجم
المحدثون .

وما نعرف شيئاً يحقق للإنسان تفكيره وتعبيره ومدنيته ،
كالقراءة . فهي تصور التفكير على أنه أصل لكل ما يقرأ ،
وعلى أنه غاية لكل ما يقرأ . فالكاتب يفكر قبل أن يكتب ،
وأثناء كتابته ، والقارئ يفكر فيما يقرأ وأثناء قراءته وبعد
أن يقرأ .

وكذلك يمضى الإنسان فى تحقيق هاتين الحصلتين اللتين
تميزانه وتضعانه حيث أراد الله له أن يكون من التفوق والرقى ،
وهما العقل والمدنية . فإذا أمر الله الإنسان بأن يقرأ ، فإنما
يأمره بأن يطمح إلى الكمال ، ويسعى إليه . وإذا كانت
القراءة أخص مميزات الحضارة ، تكثر وتنتشر إذا اتسعت
الحضارة وارتقت ، وتقل وتتضاءل إذا ضاقت الحضارة وانحطت ،
فقد يكون من أيسر التعبير وأوجزه فى يوم من الأيام أن تختصر
الطريق ، وأن يعرف الإنسان بأنه حيوان قارئ دون أن
يكون فى هذا التعريف تجاوز لما قصد إليه أرسطاطليس .
وكانت القراءة فى أول أمر الإنسان مقصورة على قلة ضئيلة
من الناس فى كل شعب من الشعوب المتحضرة . وكان رقى
الحضارة واتساعها يدعوان إلى شيوع القراءة وانتشارها حتى

كان هذا العصر الحديث وحتى كانت الديمقراطية التي أخذت تلغى الفروق والامتيازات وتقرب ما بين الطبقات .
 وإذا القراءة تصبح حقاً شائعاً لكل إنسان بل واجباً محتوماً على كل إنسان يريد أن يحيا حياة صالحة . وإذا الدول تشعر بهذا الحق وتفرض على نفسها أو تفرض عليها الشعوب تعليم القراءة لكل فرد من الناس دون أن تتقاضى على ذلك منه أجراً . ونحن نعلم أن الدول إنما تعلم أبناء الشعب هذه القراءة الآلية وقليلاً جداً مما يهيئهم للقراءة التي ترقى العقل ، وتنقى الطبع ، وتصنify الذوق ؛ ولكن القراءة على كل حال هي الطريق الطبيعية الميسرة لرقى العقل ، والطبع ، والخلق ، والذوق ؛ وحيثما انتشرت القراءة طلب الناس ما يقرأون ويتنافسون الممتازون منهم في أن يقدموا إليهم ما يقرأون ، ونشأ عن هذا كله ما نعرفه من قوة الحياة العقلية ، وخصبها ، وما ينشأ عنها من نتائج لا تحصى في حياة الناس ؛ وقد أخذت الدول في الشرق تعلم الناس القراءة ، وأخذ الناس يطلبون ما يقرأون ، وأخذ الكتاب يتنافسون في أن يقدموا إليهم ما يقرأون .

وليس الإنسان ناطقاً بطبعه ، ولا اجتماعياً بطبعه فحسب ؛ ولكن الإنسان كسل بطبعه أيضاً ؛ فهو مشوق بطبعه إلى الرقى ، ولكنه مدفوع بطبعه إلى حب اليسر ، ولإثارة السهولة ، وتجنب

الجهد الشاق ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وهو محب للقراءة ما في ذلك شك ، ولكنه يريد أن تيسر له هذه القراءة ، ووجوه التيسير كثيرة مختلفة أخطرها وأعظمها ضرراً هو الذى يشيع ، ويتنشر مع الأسف الشديد . فالكلام السهل اليسير المبتذل القريب الذى ينتشر فى الصحف السيارة الذى يكفى الإنسان أن يمد يده ليتناولها وفى الكتب الرخيصة التى يحصلها القارئ دون أن يشق على ماله ويقرأها دون أن يشق على عقله .

هذا الكلام هو الذى يتهافت عليه القراء بحكم هذه الخصلة الطبيعية فى تكوينه ، وهى خصلة الكسل ، وإيثار الهين من الأمور . فلا بد إذن من أن تقاوم هذه الخصلة ما استطاع المثقفون مقاومتها ، ولا بد من أن تقرب القراءة الممتعة الخفيفة إلى الناس حتى يستطيعوا أن يقرأوا فى غير مشقة على عقولهم ولا على أموالهم .

وليس كل ما ينتجه العقل الإنسانى ييسر القراءة للناس ، فهناك الممتازون فى الثقافة ولكن هناك أصحاب الثقافة المتوسطة وأصحاب الثقافة المتواضعة . وليس من اليسير أن يسيغ أولئك وهؤلاء ما يكتبه الممتازون من الفلاسفة والعلماء والأدباء . وليس من الحق ولا من العدل أن يحرم أولئك وهؤلاء خير ما يثمره العقل الإنسانى من الإنتاج . فلا بد إذن من أن يأخذوا منه

بحظ ما ، لا بد من أن يرتفعوا إليه شيئاً ومن أن يهبط هو إليهم شيئاً ، حتى يكون هذا اللقاء الخصب الذى يعم به نفع العلم والفلسفة والأدب .

وكل هذه الملاحظات دعت إلى التفكير فى إنشاء هذه السلسلة من الكتب القصيرة اليسيرة الرخيصة التى يسهل شراؤها وتهون قراءتها ويقرب الانتفاع بها والا مستمتع بما فيها ولا يشق ثمنها على أوساط الناس ولا على فقراءهم .

فهذه السلسلة جهد من الجهود التى تبذل فى سبيل نشر الثقافة وترقية الشعب وإزالة الفروق بين الطبقات وهى نتيجة طبيعية لهذا الطور الذى نحن فيه من أطوار حياتنا . وفى الأرض أمم سبقتنا فى هذا العصر الحديث إلى الرقى وقطعت فيه أشواطاً لم نقطعها بعد وهى مع ذلك بل من أجل ذلك تنشئ أمثال هذه السلسلة وتبذل فى إنشائها وإذاعتها وتيسيرها جهوداً عظيمة موقفة . فكيف بنا وحاجتنا إلى هذا التيسير أشد من حاجتها ، وضرورات الحياة الحديثة تفرض علينا أن نقطع أبعد الآماد إلى الرقى فى أقصر الأوقات لنستدرك ما فاتنا ولنبلغ حقنا من المساواة بيننا وبين الشعوب المتفوقة .

والنية فى هذه السلسلة أن تكون على يسرها وقربها متنوعة أشد التنوع وأنفعه . فهى تنشر المؤلفات الحديثة كما تنشر

الآثار القديمة ، وهي تنشر الآثار التي تؤلف كما تنشر الآثار التي تترجم ، وهي تنشر من هذا كله في كل فرع يمكن من فروع الإنتاج العقلي في الأدب الإنشائي وفي الأدب الوصفي ، في العلم الخالص وفي العلم التطبيقي ، في السياسة ، في التاريخ ، في العمران والاجتماع ، في كل لون من ألوان هذا النشاط الذي يجعل العقل الإنساني منتجاً في جميع فنون المعرفة . ذلك لأن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها لم يفكروا إلا في شيء واحد هو نشر الثقافة من حيث هي ثقافة لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية وأن ينتفعوا وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التي نحيها .

وكل ما نرجوه هو أن نوفق إلى تحقيق بعض هذه الغاية .

١٥ يناير سنة ١٩٤٣

أحلام شهر زاد

١

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الألف أفاق شهر يار من
نومه مذعوراً ، وجعل يتسمع لعله يجد ذلك الصوت الذى
أيقظه فلم يسمع شيئاً . وجعل يمد يده عن يمين ويمد يده
عن شمال لئلين أينكر من مضجعه شيئاً فلم ينكر شيئاً .
ثم استوى جالساً فى سريره وجعل يدير رأسه عن يمين وعن
شمال ويمد بصره فى الظلمة المتكاثفة من حوله كما يمد
سمعه فى الصمت المنقذ فى غرفته ، فلا يقع بصره على شىء ،
ولا ينتهى سمعه إلى شىء ، ولا تصل نفسه إلى شىء . فلم
يشك فى أن طائفاً قد ألم به أثناء النوم فرده إلى اليقظة رداً
لم يخل من بعض العنف . وما أكثر ما تهيم فى ظلمات الليل
هذه الأرواح المشردة التى تنطق فى لغاتها الخفية بالألفاظ
تصل إلى نفوس الرقود أحياناً كما تصل إلى نفوس الأيقاظ
أحياناً أخرى ، فيفهمون عنها مرة ويخطئون الفهم مرات ،
ويكون لهذه الألفاظ الغريبة المهمة فى حياة الناس آثار

غريبة مختلطة منها الخير ومنها الشر . ومهما يكن من شيء فقد عاد شهر يار إلى نفسه وارتسمت على ثغره ابتسامة سريعة لم تلبث أن مرت كأنها البرق ، وثارت في نفسه عاطفة ضئيلة ولكنها حادة ، فيها شيء من حسرة ، وفيها شيء من يأس ، وفيها شيء من حزن على عهد قد انقضى وليس إلى رجوعه من سبيل . ثم تاب إلى الملك رشده فتمكن في مضجعه وأغمض عينيه وضم يديه إلى صدره ودعا النوم إلى نفسه دعاء قوياً . وكأن النوم كان ينتظر أن يبلغه هذا الدعاء . فما أسرع ما مد ذراعيه فطوق بهما عنق الملك الحزين في كثير من الرأفة والرحمة والحنان ، وإذا الملك ينسى نفسه ويمعن في هذا الرقاد الحلو الهادئ المطمئن . ولم يدرك الملك أطال هذا الرقاد أم قصر ، ولكنه أفاق مرة أخرى مذعوراً ومد بصره في الظلمة المتكاثفة ومد سمعه في الصمت المنعقد وتحسس يديه عن يمين وشمال ، فلما لم ير شيئاً ، ولم يسمع شيئاً ، ولم ينكر شيئاً أنكر نفسه كلها ، ونهض من مضجعه متاثلاً ، فجعل يمشي في غرفته على غير هدى ، حتى انتهى إلى نافذة من نوافذ الغرفة ففتحها ، وكان ذلك إذناً لضوء القمر في أن ينسل في هذه الغرفة . ولكنه لم ينسل وإنما اندفع إلى الغرفة اندفاعاً أضاع له كل

ما في الغرفة من فضاء ومن أثاث . هنالك أدار الملك بصره في الغرفة فلم ينكر من أمرها شيئاً ، ثم أشرف من النافذة فاستنشق الهواء الطلق ومد بصره في الفضاء العريض المنبسط أمامه ، فلم ير إلا هذه الأشجار الباسقة الشاهقة في السماء ، وقد لبست من ضوء القمر أردية نقية ناصعة وامتدت غصونها تضطرب في الهواء اضطراباً خفيفاً ، كأنها ترغب في النوم هذه الطير التي أوت إليها حين ولي النهار ، وكأن هذه الطير قد سكنت إلى حركاتها الخفيفة المنتظمة فتامت مطمئنة وادعة ، لولا أحلام خفيفة خفية كانت تمر بنفوسها الضئيلة الوداعة فتبعث من أفواهها أصواتاً قصيرة حلوة ، وتبعث في أجنتها خفقات يسيرة لا تكاد تبدأ حتى تنقطع . وقد أطل شهر يار وقوفه أمام هذه النافذة ماذا بصره في هذا الفضاء العريض ، وماذا سمعه في هذا الصمت الجاثم عليه ، وممتعاً نفسه بهذا الضوء الرقيق الذي يترقرق بينهما ، وبهذه الأصوات الرشيقة التي تبلغه من حين إلى حين ، حتى إذا ثاب إليه الهلواء وامتلاً قلبه سكينه وآنست نفسه أمناً ودعة تراجع مثاقلاً ، ولكنه لم يذهب إلى مضجعه ، وإنما ذهب إلى مجلس من مجالسه في الغرفة ، فترامى عليه متهاكاً وقد أزع أن يتظر مطلع الصبح يقظان ، فقد كره مضجعه

وكره النوم وكره هذا الطائف الذى أخذ يزعجه منذ الليلة .
ولكنه لم يكد يطمئن فى مجلسه حتى غاب عن نفسه ، أو
غابت عنه نفسه . وكأن النوم كان ينتظره خلف هذا
المجلس ، فلم يكد يستقر فيه حتى مد إليه ذراعيه فطوق
بهما عنقه فى رافة ورحمة وحنان ، وإذا هو مغرق فى رقاد
عميق للبد لا يدري الملك أطل أم قصر . ولكنه أفاق مذعوراً
للمرة الثالثة ، فقد بصره ومد سمعه ، ثم لم يلبث أن ضرب
إحدى يديه بالأخرى ، ففتح الباب ، وأسرع الحرس وفى
أيديهم المصاييح . قال الملك : « هل أنكرتم شيئاً ؟ » .
قال قائد الحرس : « لم ننكر شيئاً يا مولاي » . قال الملك
فى صوت فاطر متكسر : « هذا غريب ! إني لمؤرق منذ
الليلة » .

ثم نهض ومضى مثاقلاً حتى خرج من غرفته والحرس
يتقدمونه ويتبعونه ، وهو يسعى هادئاً لا يقول شيئاً ولا يلتفت
إلى شيء ، حتى بلغ ذلك الجناح من القصر حيث كانت
غرفات الملكة ، فضى أمامه وعاد حراسه إلى أماكنهم .
وانتهى شهر يار إلى غرفة الملكة ، فدخل دون أن يلتفت
إلى هؤلاء الأحراس الذين أدهشهم مقدم الملك فى هذه
الساعة المتأخرة من الليل ، ولكنهم لم يقولوا شيئاً ، وما كان

لم أن يقولوا شيئاً . وأكبر الظن أن شيئاً من العجب قد ظهر على وجوههم وفي النظرات القصيرة السريعة التي كانوا يترشقون بها ويختلسونها إلى الملك اختلاساً .

وأغلق الملك من ورائه باب الغرفة في رفق شديد ، وسعى في هدوءه أى هدوء إلى سرير الملكة يمشى على أطراف قدميه . فلما بلغه نظر إلى الملكة نظرة طويلة ؛ فإذا هي مفارقة في نوم حلو ، واستمع إلى تنفسها فإذا هو منتظم هادئ ، وإذا الملكة لم تحس شيئاً ولم تشعر بمقدم هذا الشخص الذي انسل إلى غرفتها في رفق كما تنسل الأفعى ، على غير ما جرت به تقاليد القصر . ثم تراجع الملك شيئاً حتى انتهى إلى مجلس من مجالس الغرفة ، فأهوى إليه رقيقاً حريصاً على ألا يحدث حساً ما ، وعلى ألا يزعج الملكة عن نومها . فلما اطمأن به مجلسه أطرق كأنما ينتظر شيئاً . ولكن انتظاره لم يكن طويلاً ؛ فهذا صوت شهر زاد يبلع أذنيه فيملؤه رعباً وفرقاً ويكاد يخرججه عن طوره ، لولا أنه يذكر شيئاً فيثوب إلى نفسه في اللحظة الأخيرة ويطمئن في مجلسه ماداً عينيه في الفضاء مصغياً إلى هذا الصوت الذي يسعى إليه من قبل شهر زاد صافياً نقيّاً ، كأنه صوت ذلك الغدير الذي أحب الملك أن يجلس إليه حين تؤذن

الشمس بالغروب فيسمع إلى غنائه العذب وهو يداعب
الحصى ، وكأنما أسكره هذا العرف الذى تهديه إليه من
شاطئه جميعاً أنفاس الورد والرجس والياسمين .

٢

وكان هذا الصوت الخلو يقول فى نغمات موسيقية نقّادة
إلى القلوب أخاذة للنفوس لم يعرفها الملك حين كانت
شهر زاد تقص عليه أحاديثها مستيقظة : « بلغنى أيها الملك
السعيد أن طهمان ابن زهمان ملك الجن فى حضرموت كانت
له فتاة حسناء رائعة الحسن بارعة الجمال ، لا تثبت القلوب
للحظاتها إذا نظرت ، ولا تثبت النفوس لصوتها إذا تكلمت .
وكانت على حسنها الرائع وجمالها البارع ذكية القلب نافذة
البصيرة ، قد قرأت كتب الأولين وعرفت حكمة المحدثين ؛
فلم يكن شئ يستغلق عليها ، ولم يكن حكيم يثبت لحديثها
أو يقلر على مناظرتها . وكان ملوك الجن فى أطراف الأرض
التي يسكنها الناس وفى أطراف الأرضين التي ليس للناس
بها عهد ، قد تسامعوا بجمالها وذكائها وما أتيج لها من فطنة
وفتنة ، وتسارعوا إلى أبيها الملك طهمان يخطبونها إليه ويحكمونه
فيما يخضع لهم من الممالك والأقاليم : هذا يقدم إليه أقاليم

البحر ، وهذا يقدم إليه أقاليم البر ، وهذا يقدم إليه أقاليم الجو إلى قريب من مواقع النجوم . ولكن طهمان بن زهمان كان يحب هؤلاء الملوك جميعاً بجواب واحد لا يتغير : « ما كان لي أن أقضى في أمر فاتنة بغير ما تريد ! فأمر فاتنة إلى فاتنة ، فأياكم أراد أن يتخذها لنفسه زوجاً فليخطبها إلى نفسها . وأياكم ظفر منها بالرضا فله ملك أبيها مهراً » .

ولكن فاتنة كانت غريبة الأطوار ، بعيدة الآمال ، عظيمة الأطماع ، قد زهدت في ملوك الجن جميعاً واستيأست من حياة الجن جميعاً ، فردت خطابها مخدولين مبدحورين ، لم تمنح واحداً منهم ابتسامة ، ولم تُهد إلى واحد منهم نظرة فيها شيء من الرفق ، وإنما كان ردها لهم عنيفاً يملؤه السخط والازدراء ، ويصلر عن نفس شديدة الكبرياء ، لا تؤمن بأحد ولا تطمئن لأحد ولا تستريح إلى أحد ، نافرة دائماً ، جامحة دائماً ، ساخرة إلا حين كانت تتحدث إلى أبيها ، فهو وحده الذي كان يظفر منها بالوجه المشرق والثغر الباسم والنفس الراضية . وكان أبوها أول الأمر معجباً بهذه الكبرياء ، فخوراً بهذا الإباء ، محبباً لهذا الامتناع ؛ لأنه كان يرفعه فوق ملوك الجن درجات ، ولأنه كان يمسك عليه ابنته في قصره . وكان يؤثر ابنته يحب لم يجده أب

لابنته قط . وكان يؤثر نفسه بقرب هذه الفتاة الفاتنة . وكان يرى في امتناعها على الخاطبين فسحة في الوقت الذي أتيح له فيه أن ينعم بقرب ابنته ، والأوقات عند الجن - أيها الملك السعيد - لا تحسب بالساعات والأيام ولا تحسب بالشهور والأعوام ، وإنما تحسب بالقرون المتتابة والأحقاب المتلاحقة . فلما مضت آلاف السنين على فاتنة وهي تمتنع على ملوك الجن وأولى البأس منهم في البر والبحر والجو ، وكانت كلما تتابعت القرون ازدادت حسناً إلى حسن ، وجمالاً إلى جمال ، وفتنة إلى فتنة ، أقبل عليها أبوها ذات يوم أو ذات قرن فقال لها : « يا ابنتي إنك تعلمين أن أبا من الآباء لم يجب قط ابنته كما أحبيتك ، كما أني أعلم أن فتاة من الفتيات لم تحب قط أبها كما أحبيتني ، . وإنك لتعلمين أني سعيد بامتناعك على خطابك من ملوك الجن . أرى في ذلك تعالياً عليهم وإرضاء لكبريائي ، وأرى في ذلك قبل كل شيء حباً منك لي وإيثاراً منك لأبيك بالمودة والحب . ولو استطعت لمضيت في تشجيعك على هذا الامتناع وإغرائك بهذا الإباء ؛ ذلك أحرى أن يكفل لي السعادة وأن يضمن لي النعيم إلى آخر الدهر . ولكن لكل شيء يا ابنتي غاية يقف عندها وأمداً ينتهي إليه ، وقد بلغت



سعادتي بقربك أقصاها وانتهت إلى غايتها ، وآن لنا أن نفرق .
 فقد علمت يا ابنتي أن أحدنا من أجيال الجن إذا أتم من
 عمره خمسة عشر ألفاً من السنين وجب عليه أن يستعد لفراق
 الأحياء ، وأن ينتظر هذه اللحظة الرهيبة التي يستحيل فيها
 إلى قبس من نار يمتزج بهذه الجذوة الهائلة التي يدور عليها
 الكون والتي تنضج حياة الأحياء . وقد بلغت يا ابنتي ستة
 عشر ألفاً من العمر ، وأخذت أحس أني أنحول ناراً شيئاً
 فشيئاً ، وما أحب أن أتركك وحيدة ؛ فاختاري لنفسك
 أحب هؤلاء الملوك إليك أو أقلهم إلى نفسك بغضاً .

قالت فائنة : « فإني لا أحب منهم أحداً ولا أبغض
 منهم أحداً ، وإنما أزدريهم جميعاً ، وإذا فلن أختار منهم
 أحداً . »

قال طهمان ابن زهمان : « فإني لا أكره يا ابنتي أن
 تمتنع عليهم وأن تعيشي وحيدة ، تدبرين أمر هذا الملك
 بحكمتك وفضلتك لولا أني قد علمت الآن ما يملأ نفسي قلقاً
 وخوفاً على قلة ما يعتادني القلق ويبلغني الخوف . »

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . وهم
 الملك شهر يار أن يتكلم ، وهم أن يأتي من الحركات ما كان
 خليقاً أن ينه النائمة ، ولكنه ذكر شيئاً في اللحظة الأخيرة

فانسفل من الغرفة فى هدوء كما انسفل إليها .

ولم يكذب ينتهى إلى غرفته حتى دعا إليه قواد الحرس الذين يقومون دون غرفته ودون غرفة شهر زاد . فلما مثلوا بين يديه قال لهم فى صوت مهيب رهيب : « إن نداء رعوكم فى أماكنها رهين بأن يجهل الناس جميعاً ، والمملكة فى أولهم ، ما كان منذ الليلة . فلا أعلمن أن أحداً قد عرف مغروجى من هذه الغرفة والرجوع إليها . وإنى أقسم لا ينتهى إلى ما يدل على ذلك أو يشير إليه إلا ضربت أعناقكم جميعاً ، وقد تعلمون أنى لا أوعده إلا بتحقيق الوعيد . » قالوا جميعاً : « فإننا لا نعلم أن مولانا قد خرج من غرفته أو عاد إليها ، وما نكاد نفهم من حديث مولانا شيئاً ، ولولا أن علينا أن نأتمر وليس لنا أن نسأل لاستوضحنا مولانا بعض ما يقول ! » . قال الملك : « أرى أنكم قد فهمتم عنى . ما أريد . فانصرفوا راشدين . »

ثم أوى إلى سريره فاستمتع بنوم لذيذ طويل ، لا نروعه فيه الأحلام ولا تزعجه عنه أحاديث تلك الأرواح الهائمة التى تنطلق فى الفضاء وهى تجميع ببعض الألفاظ فيفهم عنها الناس أحياناً ولا يفهمون عنها فى أكثر الأحيان . وكان الملك خليقاً أن يمضى فى نومه هذا الهادئ اللذيذ ، لولا أن أحس على جبهته شيئاً يشبه ما تعود أن يجد حين يستقبل

نسيم الصباح حين تدبر النجوم ويبتسم الليل عن كوكب
النهار. فلما أحس هذا الروح أفاق من نومه هادئاً موفوراً، وفتح
عينيه فرأى شهر زاد قائمة إزاءه وقد وضعت يدها الرخصة على
جبهته وهي تمتد إليه نظرة غامضة أحبا ولم يفهم منها شيئاً .

قالت شهر زاد : « أفي أيها الملك السعيد غير مأمور !
فقد ارتفع النهار ، وأوشكت الشمس أن تزول ، وإن وزراءك
لينتظرون مقدمك الميمون عليهم . ألم تتأذن فيهم أمس بأنك
ستستقبلهم متى أشرقت الأرض بنور ربها ! » .

قال الملك : « هو ذاك يا أحب الناس إليّ وآثرهم
عندي . ولكنني أرقّت منذ الليلة أرقاً طويلاً ، ولم أطعم النوم
إلا حين كادت ظلمة الليل أن تنجلي » . قالت شهر زاد :
« أرقّت يا مولاي ؟ ! وما أرقّك ؟ » . قال الملك : « تسألين
ما أرقّني ؟ ! » ثم سكت لحظة همّ في أثنائها أن ينبئ شهر زاد
ببعض الأمر ، ولكنه ذكر شيئاً فرد نفسه إلى رشدها وقال
مبتسماً : « أرقّني الشوق إلى قصصك العذب الجميل » .

وكان الواقع من شهر يار أن نفسه لم تسلم عن قصص
شهر زاد منذ انتهى في الليلة الواحدة بعد الألف ، وإنما
كانت تتحرق شوقاً إليه إذا أقبل ميعاده المعهود من الليل ،
وتتحرق شوقاً إليه إذا أقبل النهار . وكانت تشتغل بما تشتغل

به من شؤون الملك والقصر ، ولكنها كانت تحس دائماً
 كأنها فقدت شيئاً ، وكأنها لا تستطيع عنه صبراً ، وكأن
 الأمور لن تستقيم لها إلا أن تجد هذا الشيء الذى فقدته .
 وكان هذا الشعور الغامض يصحب الملك فى جميع لحظاته
 وحين كان يأبى ما يأتى من الأمر ، وحين يدع ما كان
 يدع منه . وكان الملك من أجل ذلك منغص الحياة دائماً ،
 ولكنه كان يجاهد نفسه ويخفى أمره ويتكلف الرضا ويتكلف
 الابتسام ، وربما تكلف الضحك أحياناً ، وربما أقبل
 على اللهو فأسرف على نفسه وعلى حاشيته فيه يريد أن ينسى ،
 ولكنه لا يبلغ من ذلك شيئاً ، فيمضى فى اللهو ليخيل إلى
 من حوله أنه سعيد موفور .

وقد بلغ الملك من ذلك ما أراد ، فخدع حاشيته كلها
 خدع أهل دولته جميعاً ، وخيل إلى الذين يقربون منه أو
 يعلون عنه أنه أرضى الناس عن الحياة وأسعدهم بها ، إلا
 اثنين لم يستطع أن يخدعهما ولا أن يغرهما ، وهما شريار
 نفسه ، وشهر زاد تلك الساحرة الماهرة الماكرة التى كانت
 تعلم حق العلم بما يضطرب فى نفس الملك من قلق وما يملأ
 قلبه من حزن ، فترئى له حيناً وتشمت به أحياناً ، وتختلس
 إليه بين وقت ووقت نظرات كأنها السهام فيها كثير من

العطف ، وفيها كثير من القسوة ، وفيها كثير من الإغراء
الذى يثير الطمع ، وفيها كثير من الإباء الذى يملأ النفس بأساً
وقنوطاً . ولكنها على ذلك كله لم تبادل الملك بشيء مما كانت تعلم ،
ولأنما عاشت معه حفية به متلطفة له غامضة مع ذلك أشد الغموض .
فلما كان من تلك الليلة أقبل الملك على غرفته كئيب النفس
مريض القلب قد امتلأ رأسه بخواطر أقل ما توصف به أنها
كانت قائمة شديدة القتمة ، ولكنها كانت ربما احرمت لحظة
قصيرة ثم عادت إلى ظلمتها المظلمة وسوادها المشتق من سواد
الليل . فقد كان الملك يائساً أشد اليأس من شهر زاد قد عجز
عن فهمها . وكان ضيقاً أشد الضيق بشهر زاد قد كسل عن
احتمال عشرتها ، فكان عليها ساخطاً أشد السخط ، وكان لها
حجاً أشد الحب . وكان يهم أحياناً بأن يتقاضاها شيئاً من
الوضوح والجلاء فى سيرتها وفى لفظها ولحظها ، ويهم أحياناً
أخرى أن يتقدم إليها فى أن تستأنف ذلك القصص الذى
لا يستطيع عنه صبراً . ولكنه كان واثقاً بأنه يستطيع أن
يتقاضاها ما شاء فلن يظفر منها إلا بما تشاء هى . ولن تشاء
هى إلا هذا الغموض الذى أصبح لا يطبق له احتمالاً .
هنالك كانت خواطر نفسه تصطبغ بحمرة الدم . فقد كان
يرى نفسه مقبلاً على شهر زاد يضمها إليه ضمناً شديداً

عنيفاً ، ويهدى إليها قبيلات محرقة ملتهبة ، حتى إذا بلغ به الحب والهيام أقصاه أغمد خنجره هذا الدقيق في صدرها هذا الناصع الجميل ، وتلقى ما يفيض به هذا ينبوع من دمها الحار ، فلعله أن يشنى ما كان يجد من هذا الظمأ الذي لا شفاء له . على أنه كان لا يكاد يلم بهذا الخاطر الأحمر ، أو كان هذا الخاطر الأحمر لا يكاد يلم به ، حتى تأخذه رعدة عنيفة . فقد كان ضيقاً بشهر زاد أشد الضيق ، ولكنه كان يجد سعادته في هذا الضيق ، ولذته في هذا الألم ، وراحة نفسه في تعبها من هذا الغموض . ومن يرى ! لعله لو انجلت له نفس شهر زاد وألغيت بينه وبينها الحجب فرآها واضحة ناصعة كأنها فلق الصبح لامتلاّت نفسه حزناً وحسرة ؛ فإن العشاق لا يكرهون شيئاً كما يكرهون الراحة المطردة . ولا يضيّقون بشيء كما يضيّقون بهذا الوضوح الجلي . هم في حاجة دائماً إلى أن يشكوا ، فهم في حاجة دائماً إلى أن يجدوا مصدراً للشكوى . هم كطلاب المثل العليا لا يقربون منها إلا لتبعد عنهم ، ولو قد بلغوها وانتهوا منها إلى ما يرضيهم لكانوا أشقى الناس بذلك وأشدّهم عليه سخطاً ؛ فسعادتهم في الطموح المستمر والجهد المتصل ، لا في بلوغ الغاية والانتهاى إلى الأمد . بهذا كله وبأكثر من هذا كله كانت نفس شهر يار

تضطرب حين أوى إلى سريريه من تلك الليلة ، وقد أرقته هذه الخواطر شيئاً ، ولكن النوم لم يلبث أن أسرع إليه واشتمل عليه . ثم سمع فيما يسمع النائمون حين يلهم بهم طائف الحلم كأن قائلاً يقول له : « إنك لضعيف مغرور تعنى نفسك في غير عناء ، وتشقّ عليها في غير مصلر للمشقة . أنت مشوق إلى قصص شهرزاد لا تستطيع عنه صبراً ، فهل علمت أنها هي أيضاً مشوقة إلى هذا القصص لا تستطيع عنه إعراضاً ؟ أنت ضيق بغموض شهرزاد لا تستطيع له احتمالاً ، فهل علمت أنها هي أيضاً ضيقة بوضوحك لا تستطيع له استقبالا ؟ أنت تريد أن تلهو عن غموض شهرزاد بما نقص عليك من حديث ، وهي أيضاً تريد أن تلهو عن وضوحك بما نقص عليك من أخبار . أنت ترى فيها المرأة الماكرة التي لا تؤمن والتي لا تحتل عشرتها إلا أن يستعان عليها بما يلهي عنها . وهي ترى فيك الرجل القاتل الغادر الذي يلتمس لذته حتى إذا ظفر بها ألغى مصلوها إلغاءً ، فلا سبيل إلى اتقاء شره إلا بتلهيته والتلهي عنه . أنت مشوق إلى أن تسمع منها وإلا قتلها . وهي مشوقة إلى أن تتحدث إليك وإلا قتلتك . وقد انتهت أحاديثها إليك في البقطة ، ولتبدأن أحاديثها إليك في النوم . وستجد أنت

لذة في هذه الأحاديث ، وستجد هي راحة في هذه الأحلام .
أفق إذاً من نومك واذهب إلى غرفتها متلطفاً مترقياً . فإذا بلغتها
فاجلس من مريدتها غير بعيد وانتظر ، فستسمع منها ما يرضيك .
وقد خُيِّل إلى شهربار أن طائفه ذاك قد ألقى إليه حديثه
هذا الطويل في وقت يعد له طولا كما تعود الناس أن يتحدث
بعضهم إلى بعض ، ولكنه لو اطلع لرأى أن طائفه ذاك لم
يلمْ به إلا لحظة قصيرة جداً ألقى إليه حديثه فيها جملة . وآية
ذلك أنه أفاق فأنكر هذا الطائف مرة ومرة . ولكنه كان
كلما عاد إلى النوم وعاد النوم إليه سمع هذا الحديث كله
من طائفه فأفاق منكرًا لما سمع . يرى أنه لم ينم وإنما أغنى
إغفاءة قصيرة أقصر من أن تطول لهذا الحديث . فلما ألحَّ
عليه الطائف بحديثه لم ير إلا أن يجرب الأمر ويعبر الرؤيا
ويختبر صدق هذا الحلم . فسعى إلى غرفة شهر زاد فرأى فيها
ما رأى وسمع فيها ما سمع ، وأمر أحراسه وأحراس الملكة بما أمر ،
ثم أسلم نفسه إلى النوم واطمأن إلى صدره الوثير حتى استلته
منه شهر زاد بيدها الرخصة الناعمة وصوتها العذب الجميل ،
ووجهها المشرق الوضاء ، ونظرتها تلك الغامضة أشد الغموض .
ومع ذلك فقد أنفق شهر يار نهاره هادئاً مطمئن النفس
رضى البال متصرفاً في أموره كما تعود أن يفعل قبل أن يغتر به

هذا القلق ، لا يحس خوفاً ولا إشفاقاً ، ولا يشعر أنه فقد شيئاً ولا يجد في التماس هذا الشيء ، ولا يضيق بعشرة شهر زاد ، ولا يكره ما كان يحس فيها من هذه الكبرياء البغيضة التي هي مزاج من الرثاء له والقسوة عليه .

ولم يتغير من سيرة شهر زاد شيء ؛ فقد كانت كعهد الملك بها غامضة دائماً حرة اللفظ واللفظ ، ولكنها كانت تشيع من حولها شيئاً غريباً لا يعرف كنهه ولكنه كان يبعث الأمن والأمل والاطمئنان .

٣

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الألف أنفق الملك شطراً من الليل بين وزرائه وندمائه ، يخوض معهم في ألوان من الحديث ويمجاذبهم أطرافاً من اللهو . ثم صرفهم حين تقدم الليل كعادته ، ونحلا إلى الملكة بعد ذلك فقضى معها شطراً آخر من الليل ، ذاق فيه من النعيم ما شاء حبه لشهر زاد وما شاءت قلرة شهر زاد على فتنة المحبين وإمتاعهم بنعماء الحب وبأسائه جميعاً . ثم اقترق العاشقان بعد أن كاد الليل يبلغ ثلثيه ، وثاب الملك إلى غرفته ، ولكنه لم يأو إلى سريره ، وإنما لبث ساعة يتردد أينكر ما كان في الليلة البارحة . ويقبل على النوم كأن

لم يكن شيء وكان لم ير شيئاً ، أم ينتظر حتى إذا استيقن أن شهرزاد قد اشتمل عليها الرقاد سعى إلى غرفتها واتخذ من سريرها مجلسه ذاك ، لعله يسمع منها تنمة ذلك الحديث . وكان إلى تنمة ذلك الحديث مشوقاً أشد الشوق ، وكان في الوقت نفسه عظيم الشك في أن تستقيم له الأمور من ليلته هذه كما استقامت له من ليلته تلك .

ولأنه لقي هذا التردد لا يلزمه أن يقدم أم يحجم وإذا النوم يأخذه في مجلسه رتناً لا يلزمه أن يكون طويلاً أم قصيراً ، ولكنه يسمع في آخره طائفة ذاك يقول بصوته الهادئ المطمئن : « لن يهلك الإنسان إلا لإسرافه على نفسه بالشك والارتباب . إن كنت في حاجة إلى أن تسمع حديث شهرزاد فأسرع إلى مجلسك من سريرها فقد آن لها أن تأخذ في الحديث . وما أراك تحب أن تقص بقية خبرها على غرفتها تلك وما فيها من الآثار » .

هنالك أفاق شهر يار مرتاعاً مذعوراً ، ولكنه لم يفكر في شيء ولم يسأل نفسه ولا حرسه عن شيء وإنما انسلّ مسرعاً حتى دخل غرفة الملكة واطمأن في مجلسه غير بعيد من تلك النائمة الهائمة التي لم يصدر عنها ما يدل على أنها قد أحسبت مقدّمه . ولم يمض غير قليل من الوقت حتى انتهت إلى سمعه تلك النغبات الحلوة الرشيقة الأنيفة تحمل إليه صوت شهرزاد

وهي تقول : « بلغني أيها الملك السعيد أن الملك طهمان بن زهمان قال لابنته فاتنة وهو يحاورها إنني قد علمت الآن ما يملأ نفسي قلقاً وخوفاً على قلة ما يعتادني القلق وبلغني الخوف . »

قالت فاتنة وقد ترددت في عينيها دموع حائرة تدفعها الرحمة لأبيها ويمسكها الإشفاق عليه أن يزداد حزناً إلى حزن واكتئاباً إلى اكتئاب : « ويحي عليك يا أبت ! ما عرفتك قبل اليوم حافلاً بالقلق أو معنياً بالخوف . وما أرى إلا أنك تفكر في ابتك فتكثر التفكير ، ويسوءك أنك حين تفارق هذه الحياة لن ترك لها أنحاً ولا نصيراً . ولكني أحب أن تطيب نفساً وتقر عيناً ، فإن ابتك قد تعلمت منك كيف تواجه الحياة وتثبت لخطوبها وتنفلد من مشكلاتها . . وإنني منبتك الآن بما يثير في نفسك القلق ويبعث في قلبك الخوف . » قال أبوها : « وما أنت وذاك يا ابنتي ! ومن أين لك العلم بما لم ترتفع به الأنباء إلا إلى ! ولم ترتفع به الأنباء إلى إلا الساعة قبل أن ألقاك بلحظات !! » قالت فاتنة : « فاسمع مني قبل كل شيء . فإن يكن ما أنبتك به صحيحاً كان ذلك خليقاً أن يرد الراحة إلى نفسك والأمن إلى قلبك ، وإن يكن ذلك غير صحيح رددتني إلى الصواب ووجهتني من أمري حيث تحب ، فلن أعصي لك أمراً ، ولن أرد عليك

قولا . قال الملك : « فهاهنا ما عندك يا ابنتي » .

قالت فاتنة : « لقد ارتفعت إليك الأنباء الساعة بأن هؤلاء الخاطبين الخائنين من ملوك الجن في البر والبحر والجو قد ساءت لهم الحيلة وأسخطهم ردتي لهم وإعراضي عنهم ، ووقع في نفوسهم أني أزدريهم ولا أقدر مراتبهم حق قدرها ، فاستحال حبهم لي بغضاً وتنافسهم في تظاهراً عليّ ، وقد سعى بينهم السفراء ، ثم كان بينهم الاتفاق ، فأجمعوا رأيهم على أن ينتظروا بك ما بقي من عمرك ، وهم يرونه قصيراً وأراه طويلاً ، وقد أزمعوا إذا تركت هذه الحياة أن ينصبوا لي الحرب مؤتلفين لاختلافين ، ومتظاهرين لا متدابرين ، وألا يكفوا عن هذه الحرب حتى يدمروا ملكي تدميراً ، وأهم ظفري فأننا أسيرته ، يمسكني في قصره كما تمسك الإماء لا يكرمنني بالزواج ولا يؤثرني بالحب ، وإنما يصب عليّ من العذاب ألواناً ويسومني من الضيم فنوناً . وقد تقاسموا على ذلك بأغلظ الإيمان وأشدّها إخراجاً ، وكتبوا بذلك وثيقة أودعوها مكاناً أميناً حصيناً ، هناك في قاع البحر المحيط وراء أعمدة هرقل . وإنني لأنظر إلى صحيفتهم هذه كما أنظر إلى وجهك الآن . وإنني لأقرأ ما كتب فيها كما أتبين ملامح وجهك . وإنني لقادرة إن شئت على أن آتيك بها قبل أن تقوم من مقامك ،

ولكن على أن تأخذها بيدك وتقرأها ، ثم تعيدها إلى لآردها إلى مكانها ؛ فقد سبق القضاء بأحداث لا بد أن تقع ، وجرى القدر بأمور لا بد من أن تكون . قال الملك وقد اضطرب اضطراباً شديداً ، وظهرت على وجهه أمارات الرضا والدهش جميعاً : « قد كنت أعلم يا ابنتي أن لك كما لأتراك من بنات الجن علماً بالسحر ونفاذاً فيه وتصرفاً في دقائقه . وكنت أعلم أنك قد تفوقت عليهن في ذلك تفوقاً ظاهراً كما تفوقت عليهن في كل شيء . ولكني لم أكن أقدر أنك قد بلغت من ذلك هذا المبلغ الذي أراه ! فمن أين لك يا ابنتي هذا العلم ؟ وكيف انتهيت من السحر إلى هذه المنزلة التي لم يبلغها قط أحد من فتياننا ولا من فتياتنا ؟ » . قالت : « ذلك خليك أن يرد نفسك إلى الراحة وقلبك إلى الاطمئنان ، فلا تحسب لما دبّر هؤلاء الملوك حساباً ، ولا تخش علىّ منهم غائلة » . قال الملك : « هو ذاك يا ابنتي ، ولكني أريد أن أعرف كيف انتهيت إلى هذه المنزلة من العلم بالسحر والنفوذ إلى أسرار الكون » . قالت فاتنة : « إنما انتهيت إلى هذه المنزلة لأنني صرفت عن هذه الحياة الباطلة التي يحياها بنات الملوك في ظل آبائهن ناعمات بالعيش الرخي ، طامعات فيما تتكشف لمن عنه الأيام ، مفكرات فيمن يسعى إليهن

محباً أو متملقاً أو خاطباً . صرفت عن هذا كله وعن أشباهه إلى النظر في حكمه الأولين والمحدثين ، وإلى كثير من التجربة والاختبار ، ما أعرف أن أحداً عُنِيَ بمثلها . ولكن أتريد أن تنظر في صحيفة هؤلاء الملوك ؟ » . قال الملك : « وإنك لقادرة على أن تأتى بها » . قالت فاتنة : « قبل أن يرتد إليك طرفك » . ثم مدت يدها في الهواء وردتها فإذا فيها علبة صغيرة مربعة من معدن تحمل أختاماً كثيرة ، فوضعتها بين يدي الملك ، ثم أشارت إليها فإذا هي تفتح دون أن تمس أختامها بفساد ما ، ثم تخرج منها قطعة رقيقة من رصاص فتدفعها إلى الملك . وينظر فيها ثم يردّها إليها وقد بلغ منه الدهش مبلغه وانتهى السرور به إلى أقصاه ، وهو يقول لابته : « لا بأس عليك من هؤلاء الملوك مهما يدبروا ويقدرُوا ، فما أرى إلا أنك ستردين كيدهم في نحورهم وستلقيهم بشر مما يلقونك به » . قالت وقد ردت الصحيفة إلى مكانها من العلبة ، وأشارت إليها فعادت كهيتها حين جاءت بها ، ثم أخذتها ومدت يدها بها في الفضاء ثم ردت يدها فارغة كأن لم تمسك شيئاً قالت : « ولأريَنَّك من أمرهم ما تحب وما يكرهون » . قال الملك : « وما ذاك يا ابنتي ؟ » . قالت : « إنهم يأتُمرون بهذا الملك ليُدْمروه ، وبصاحبه ليستذلّوها ،

وهم من أجل ذلك يهيئون للحرب ويجهزون لها جهازاً لم يجهزه أحد من قبل ؛ فإن الحرب لا يقتلها إلا الحرب ، وإن الكيد لا يفسده إلا الكيد ، وإن الحديد لا يفله إلا الحديد كما يقول هؤلاء الجليل من الناس الذين يعيشون حولنا فيما يقولون من حماقاتهم . قال الملك : « وإنك إذاً لتريدون أن تسبقوهم إلى الحرب . وما أنت وذاك وهم متفوقون في أقطار الأرض والبحر والجو ، ولا قبل لك بغزوهم جميعاً في مستقرهم ؟ » . قالت : « لن أغزو أحداً في مستقره ، ولكني سأغزوهم حول هذه المدينة . سأثيرهم إلى الحرب حتى إذا ثاروا إليها واندفعوا فيها وألقوا بكل ما أعدوا من عدة وما حشدوا من جند رأيت كيف يكون إفناء القوة ، وكيف يكون دحر الأعداء . »

وهم الملك أن يتكلم ، ولكن فائتة لم تمهله ، وإنما قالت : « هوّن عليك ، فلن أعلن على أحد حرباً ، بل لن أسوء أحداً منهم ، ولكني معلنة إليهم جميعاً أنني قد أزمعت أن أتخذ لي من بينهم زوجاً ، وأني مختارة من بينهم من استطاع أن يقهر هذه المدينة بما عنده من عدة وعدد ، فستراهم يومئذ وقد جمعوا جمعهم وحشدوا قواهم وأقبلوا يريدون أن يدكوا هذا الملك دكاً ، منهم من لا يريد إلا النصر الذي يتيح له الظفر بي ، ومنهم من يريد أبعد من ذلك وأناى مراماً ، يريد التدمير

الذى لا تدمير بعده ليخلص من قوة طالما فكر فى أن يخلص منها . قال الملك : « وإنك لفاعلة هذا ؟ » . قالت : « ما أريد أن تفارقنى وفى نفسك ظل من خوف على أو إشفاق مما قد يدبر هؤلاء الملوك لى من كيد » .

ثم أشارت بيدها إشارة خفيفة فما أسرع ما فتحت الأبواب ، وأقبل الوزراء ورجال القصر ، فأعلنت إلى أيها بين أيديهم أنها قد غيرت من رأيها ، وعدلت عن سيرتها الأولى ، وفكرت فى أن تتخذ لنفسها زوجاً ، ولكنها لا تريد أن يكون زوجها ضعيفاً أو متسلطاً على دولة ضعيفة ؛ إنما تريد أن تقترن بأقوى ملوك الجن قوة ، وأشدهم أيداً ، وأعظمهم بأساً ، وأبعدهم صوتاً ؛ وتريد أن تختبر ذلك بنفسها ، وأى ملوك الجن استطاع أن يقهر مدينتنا هذه ويدخلها عنوة فأنا له زوج وملكى للملكه تبع .

وقد اضطربت نفوس الوزراء ورجال القصر لهذا الحديث حين سمعوه ؛ فقد رأوا أهوال الحرب تصب على بلادهم صبيّاً ، وأشفقوا مما تجره الحرب عليهم وعلى الرعية من مكروه ، وهم غير واحد منهم أن يراجع الأميرة فيما قالت ، ولكنها أشارت إشارة خفيفة فانعقدت الألسنة وغضت الأبصار ، وانحنى العروس ، وخرج رجال القصر وقد أذعنوا للأمر . وقال وزير الملك : إنه مبلغ تحدى الأميرة للملوك الجن جميعاً من فوره .

وأحرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .
وعاد شهر يار إلى غرفته ناعم البال بما سمع ، ولكنه كان
مضطرب النفس أشد الاضطراب . فلم يكن شهر يار كعهده
الناس به حين كانت تقص عليه أحاديث « ألف ليلة وليلة »
ثائر النفس ، جامح الشهوة ، سيئ الظن بالمرأة ، مستجيباً
لغرائزه حين تدعوه إلى ما تدعوه إليه من الخير والشر ، إلا أن
يلهى عنها بفنون الحديث ، وإنما كان رجلاً آخر قد خلقت
شهرزاد خلقاً جديداً .

كان كثير التفكير متصل التروية ، لا يرى شيئاً إلا
اجتهد في أن يعرف مصلره وغايته ، ولا يسمع شيئاً إلا جدّ
في أن يفهم ظاهره وتأويله . وكان هذا الجهد العقلي الطارئ
عليه يعنيه أول الأمر ، ولكنه اتصل حتى أصبح عادة
لشهر يار ، وإذا هو مفكر دائماً ، مقلد دائماً ، منفق وقته
 وجهده في التحليل والتعليل ، لا ينصرف عن ذلك إلا حين
تشغله شهر زاد بجدها قليلاً وبدعابتها كثيراً . وفي الحق أن
شهر زاد لم تكن تشغله عن التفكير ، وإنما كانت تريجه
منه وقتاً ما ، حتى إذا انصرفت عنه ردت إلى التفكير ، وإلى
التفكير الذي يزدد شدة وعنفاً كلما لقي شهر زاد وانصرف .
وقد تركت في نفسه وأمام عقله من الألغاز والأسرار ما

يكلفه الجهد المضنى دون أن ينفذ إلى أعماقه .
 وكان أمر شهر يار قد شق على الناس جميعاً ؛ فوزراؤه
 ورجال حاشيته قد أنكروا منه هذا الهدوء الذى لا عهد لهم
 به ، وهذه الدقة فى القول والعمل جميعاً ، وهذه الدقة فيما
 كان يوجه إليهم من حديث ، وقلة الرضا بما كانوا يقدمون
 إليه من رد ، لأنه كان يريدهم على أن يصطنعوا الدقة كما
 يصطنعها ، ويمعنوا فى التفكير كما يمعن فيه .

ولأنما كانت شهر زاد وحدها هى التى لم تنكر من الملك
 شيئاً ولم ينكر منها الملك شيئاً . كانت تلقى هلهوه بهلهوه مثله
 وتفكيره بتفكير أشد منه تعمقاً ، وكانت تسمع أحاديثه
 الدقيقة فترد عليه بأحاديث أشد منها دقة ، حتى استعجمت
 أحاديثهما أو كادت تستعجم على الذين كانوا يحضرون
 مجالسهما من أهل القصر ورجال الدولة . وقد شاع بين
 أولئك وهؤلاء أن طائفاً غريباً قد ألم بالقصر فأفسد على هذين
 العاشقين أمرهما ، فهما يقولان ما لا يفهم ، ويتناجيان بما
 لا يدرك ، والغريب أن الملكة تفهم عن زوجها كل ما يقول ،
 وأن الملك لا يفهم عنها إلا قليلاً ! تلك كانت حال شهر يار .
 فليس غريباً إذاً أن يعود إلى غرفته بعد أن أدرك شهر زاد
 الصباح فسكتت عن الكلام المباح ، هادئاً مضطرباً معاً

تجيش في رأسه خواطر غريبة عن حديث فاتنة هذا الذي استأنفته شهر زاد منذ ليلتين .

وقد كان شهر يار فيما مضى يسمع قصص شهر زاد فيفهمه ويرضى عنه ويلهو بظاهره ، لا يتكلف له تأويلا ولا تعليلا ، ولا يلتبس لألفاظه الواضحة السهلة معاني ملتوية معقدة ، ولكنه الآن يسأل عن فاتنة هذه من تكون وما تكون ؟ وهل هناك سبب بينها وبين شهر زاد ؟ وهل هناك صلة بين قوتها الجاححة الثائرة وبين هذه القوة الهائلة التي تتسلط بها شهر زاد على كل من دنا منها أو نأى عنها ؟ وهل هناك صلة بين ازدراء فاتنة الملوك الجن وازدراء شهر زاد للملوك الإنس ، فما من شك في أن شهر زاد لا تزدري ملوك الإنس وحدهم ، ولكنها تزدري الملوك والرعية جميعاً . وما من شك في أن شهر زاد تزدري شهر يار نفسه ، وإلا لتلقته بنفس مشرقة مسفرة ، ولجنبتة هذه السيرة الغامضة وهذه الأحاديث الملتوية .

وهنا كان الدم يغلي في عروق شهر يار وتعود إليه غريزته الأولى عنيفة طاغية ، فينهض واقفاً وقد جاشت في نفسه عواطفه الثائرة ، واضطربت في رأسه خواطره الحمراء . ولكنه لا يلبث أن تتمثل له ابتسامة حلوة أهدتها إليه شهر زاد في بعض الحديث ، أو دعاية ظريفة ساقتها إليه شهر زاد في

ساعة من ساعات اللهو ، أو نظرة رحيمة نظرتها إليه شهر زاد في لحظة من لحظات الحنان ، وإذا هو يثوب إلى نفسه هادئاً وادعاً كأنه الطفل ، نادماً على ما قلم من سوء الظن بهذه التي لا ينبغي أن تساء بها الظنون .

وكذلك أنفق الملك السعيد بقية ليله شقيباً محزوناً مضطرب النفس مختلط الأمر ، لا يستقر في مجلسه إلا لينهض منه ويمضي في غرفته ذاهباً آثباً ، وربما أشرف من النافذة فلأ صدره من نسيم الليل بما يحمل من عطر رطب لذيد ، وملاً عينيه من ظلمة الليل بما يضطرب فيها من ضوء فضيل نحيل . ولكن الشيء المحقق أنه لم يأو إلى سريره ولم يفكر في أن يأوى إليه ، إنما قضى بقية ليله سائراً حائراً ، وكان خليفاً أن بقضيها هادئاً راضياً بعد ما سمع من قصص شهر زاد . وقد كان يسأل نفسه عن مصدر هذه الحيرة وعن علة هذا السهاد ، وكان يقلر أنه يجد في قصص شهر زاد ما كان في حاجة إليه من نسيان نفسه ونسيان الناس والتجرد من هذا العالم الثقيل عليه البغيض إليه ، كما كان ذلك شأنه حين كانت شهر زاد تمتعه بقصصها اليقظان . فأما هذا القصص النائم فإنه لا ينقع له غلة ولا يشفي له صدى ، وإنما يزيده ظمأ إلى ظمأ وتحرقاً إلى تحرق ؛ فهو أشبه شيء

بهذه الأثرية الحادة التي يظماً إليها الراغبون في السكر ،
يظنون أنها ستبرد أكبادهم وتطفىء ما في أحشائهم من لهب ،
ولكنهم لا يتجرعون كؤوسها حتى تزداد أكبادهم احتراقاً
ويزداد اللهب في أجوافهم تلظياً واضطراماً ؛ فهم يتداوون
منها بها ، كما يقول الأعشى ، ويتخذون داءها دواء ، كما
يقول أبو نواس . ولو قد استطاع شهربار أن يجعل ليل
شهرزاد كله حلاً ينطق بهذا الحديث العذب والقصص
الجميل لفعل . ولكن من له بذلك وقد قدرت له أحلام
صاحبه تقديراً وقطرت له أحاديثها تقطيراً ؛ فهي تبدأ في
موعد موقوت لا تستطيع أن تسبقه ، وتنتهى عند أجل محدود
لا تستطيع أن تتجاوزه . وقد كان قادراً على أن يستريد
شهرزاد حين كانت تحدثه مستيقظة ، وكان قادراً أن
يستوضحها إن أشكل عليه بعض الحديث . فأما الآن فهو
لا يستطيع أن يستريدها ولا أن يستوضحها ؛ لأنها لا تعرف
أنها تقص عليه شيئاً ، ولا تعقل مما تقص عليه شيئاً . بل
هو لا يستطيع أن يشير إلى هذه الأحاديث التي تلقاها إليه
أحلام شهرزاد . فقد قال له طائفه فيما قل : « احذر أن تنبها من
قريب أو بعيد إلى هذا القصص ؛ فإنك إن تفعل لم ترد على أن
تردعها الأحلام وتحرم نفسك ما بقي لها من هذه اللذة المختلصة » .

وكان الضيق قد بلغ بشهريار غايته حين بلغت أذنيه أصوات الطير المستيقظة وهي تستقبل النهار فرحة مريحة ، وتلقى ضوء الشمس مبهجة به أعظم الابتهاج نشيطة له أشد النشاط . وقد وقعت هذه الأصوات العذبة المختلفة من نفس الملك أحسن وقع ، فثاب إلى قلبه المذغور شيء من أمن وإلى نفسه اليائسة شيء من رجاء ، وإذا هو يجد حاجة قوية إلى أن يغتدى مع الطير ، ويسلم نفسه لهذه الطبيعة الحرة المرحية المبهجة فيفنى فيها ويصبح جزءاً من أجزائها وعنصراً من عناصرها ساعة أو ساعات . وها هوذا يسعى إلى طنف من أطراف الغرفة ، فيشرف منه على هذه الجنة المطيفة بالقصر ، والتي لا يبلغ الطرف أرجاءها مهما يمتد ومن أى ناحية يمتد . وإذا هو يفتح صدره للنسيم العذب ، وعينه للضوء المشرق ، وسمعه للأصوات التي يتغنى بها الفضاء العريض . وإذا هو ينسى نفسه أو يكاد ينساها ، لا يكاد يشعر إلا بأنه يخطو خطوات متاقلة يتبع بعضها بعضاً في أناة وبطء ، وقد ذهل عما حوله وذهل عنه ما حوله . وهو يهبط درجات السلم رزيناً متاقلاً يكاد يترنح ترنح الثمل السكران . وهو يسعى لا يكاد يحس خطاه لأن قدميه لا تمان الأرض ، وإنما تنتقلان على هذا البساط الكثيف الذى

نسجته الطبيعة ونسجه معها البستانيون من سندس العشب .
وما يزال كذلك يسعى أمامه لا يلوى على شيء حتى يحس
في مثل الحلم كأنه ينعطف عن غير إرادة إلى اليمين لأن
طريقه كانت تقتضي الانعطاف إلى يمين ، فيمضي ويمضي
وهو يحس في نفسه حسرة ضئيلة خفية لأنه لا يستطيع أن
يستمتع بما حوله من فنون الزهر والشجر ، وقد تعود حين كان
يسعى في جنته هذه ألا يتقدم إلا ليتأخر وألا يمضي إلا ليقف .
وكانت له وقفات طويلة عند هذه الألوان من الزهر الذي
نُسِّقَ أجمل تنسيق وأروع ، يحدّق في هذه الزهرة ويمتحن
هذا النجم ، وربما تحدث إلى هذا البستاني أو ذاك سائلاً
حيناً وأمرأً حيناً آخر ، ولكنه في هذا اليوم يمضي أمامه
لا يلوى على شيء ولا يفكر في شيء ولا يقف عند شيء .

وليس من المحقق أنه كان يرى هؤلاء البستانيين الذين
كانوا ينهضون إذا رأوه مقبلاً من بعيد فيحيون ويتظرون أن
يلقى إليهم السؤال أو يصدر إليهم الأمر . يتهجون بذلك في
دخائل ضمائرهم ويتمنون به الأمانى .

ولكن الملك كان يمر بهم ذاهلاً عنهم أو كان بنظر إليهم
نظره إلى التماثيل القائمة التي لم يكن يتتظر أن تسمع منه كلاماً
أو ترد عليه رجع حديث . وكان هؤلاء البستانيون يُسْقَطُ في

أبديهم إذا مر بهم الملك غافلا عنهم غير مكثر بهم ،
 يردون أنفسهم إلى التعزى عن هذه الابتسامة التي كانوا
 ينتظرونها وعن هذا الأمل الذى كانوا يداعبونه ، ويقول
 بعضهم لبعض : « ما بال مليكتنا كثيراً محزوناً منذ اليوم ؟ » .

ولكن ملكهم لم يكن كثيراً ولا محزوناً ، وإنما كان نشوان
 ثملاً قد صرفته الحياة عن الأحياء وصرفته الطبيعة عن الناس
 والأشياء ؛ فهو يمضى أمامهم لا يلوى على شيء ، حتى إذا
 بلغ من جنته مكاناً بعينه انحرف إلى شماله ففضى فى ممر ضيق
 ضئيل تحف به من جانبيه أشجار ضخام فى الفضاء طوال
 فى السماء ، قد تضامت غصونها واختلطت أوراقها حتى
 انعقد منها سقف كثيف لا ينفذ منه ضوء الشمس إلا ضئيلاً
 هزيراً بعد مشقة شاقة وجهد جهيد . والملك يمضى أمامه فى
 هذا الممر الضيق كأنه النفق ، حتى إذا مشى غير قليل
 انفرجت هذه الشجرات الملتفة المتكاثفة قليلاً قليلاً حتى
 جعلت بينها مكاناً رحباً فسيحاً قد فرش بالعشب المتكاثف
 وقامت فى أطرافه نجوم وأزهار لاذت . بهذه الأشجار
 الضخام الطوال كأنما تحتوى بضخامتها وطولها من العاديات .
 هنالك وقف الملك فأطال الوقوف ، وتنفس هذا الهواء العذب
 الرطب فأطال التنفس ، ثم جلس على الأرض متهاكاً متثاقلاً ،

ثم أسلم نفسه إلى ما حوله فلم يشعر بشيء ولم يحس شيئاً .
ولكنه يفيق من نومه مذعوراً أو كالمذعور ؛ فقد سمع صوتاً
حلوّاً يشبه صوت الماء وهو يتحدر في غديره ذاك بين الترجس
والياسمين لولا أن في هذا الصوت حياة لم يتعود أن يجدها في
خريف الغدير ، ولولا أن في هذا الصوت تقطعاً وتكسراً وتهالكاً
لم يتعود أن يجد مثله في تحدر الماء بين الترجس والياسمين .
ويفتح الملك عينيه فيرى فتنة لا تلبث أن تملك عليه سمعه
وبصره وقلبه وعقله جميعاً .

هذه شهر زاد قائمة منه غير بعيد ، تنظر إليه نظرات فيها
الحنان والمكر ، وهي مفرقة في ضحك هادئ عذب يرتفع
له صلوها وينخفض ، ويغشى وجهها بغشاء من الجمال
الرائع ليس إلى تصويره من سبيل . وهذا الملك ينظر إليها
مسحوراً مبهوراً وهي تضحك من ذهوله وحيرته — ولكنه
ينهض خفيفاً ويسعى سريعاً ، حتى إذا بلغها أو كاد جثا
أمامها غاضباً بصره إلى الأرض رافعاً يديه إلى السماء كأنه
المؤمن الذي يتقرب إلى التمثال . وهي تضع يدها على رأسه
ضاحكة كأنها تبارك عليه ، ولكنها لا تلبث أن تستيحل إلى
حنان خالص ، وإذا هي تميل إليه مترفة فتضع على جبهته
قبلة حلوة حارة طويلة . ولو أنها تحدثت في تلك اللحظة



لأحس شهر يار فى صوتها تهديج العبرات التى تريد أن تندفع من العيون ، ولكن الإرادة القوية تمسكها فيظهر أثر هذا الصراع فى الصوت المحتبس والألفاظ التى لا تبين . ولكنها لم تقل شيئاً ، وإنما استقام قدّها المعتدل وامتدت يدها الرخصة إلى الملك فأهضته صامته ، واستجاب لها الملك صامتاً طيعاً ، فقضت به خطوات إلى نشز من الأرض قريب يكسوه العشب فأجلسته وجلست إلى جانبه ، وأحاطت عنقه بيدها ثم أمالته فى رفق حتى وضعت رأسه على كتفها ، وظلت تنظر إليه ، وظل ينظر إليها وهما مغرقان فى صمت عميق . ثم يسمعها شهر يار تتحدث إليه فى صوت هادئ وادع وهى تقول له : « ألم يأن لنا بعد أن نهبط من السماء وأن ننزل إلى الأرض فنعيش فيها مع الناس ؟ » .

ولكن شهر يار لا يجيبها ، وإنما تنحدر من عينيه دمعتان هادئتان تمسحهما شهر زاد فى رفق ، ثم تنعطف إلى الملك فتقبل جبهته مرة أخرى ، ثم تقيمه حتى إذا استوى فى مجلسه جعلت تمر أصابعها فى شعره رفيقة به باسمته له مطيلة النظر إليه صامته مع ذلك لا تقول شيئاً . وكأن هذا العطف الصامت الحار قد بعث الحياة والنشاط فى قلب الملك وجسمه وفى عقل الملك وإرادته ؛ فهو يرفع رأسه إلى شهر زاد ويسألها

فى صوت كأنه يأتى من بعيد : « ألا تنبئينى آخر الأمر :
من أنت وماذا تريد منى ؟ » . قالت وقد استردت نشاطها
ومرحها وانحسر عنها العطف والحنان كما انحسر البحر عن
الساحل ساعة الجزر وبدأت مداعبة شمساً : « من أنا ؟ !
أنا شهر زاد التى أمتعتك بقصصها أعواماً لأنها كانت خائفة
منك ، والتى تمتعت بحبها الآن لأنها واثقة بك مطمئنة
إليك . وماذا أريد ؟ ! أريد أن أرى مولاي الملك راضياً سعيداً
ناعم البال رضى العيش مبتسماً للحياة كما تبسم له الحياة » .
ولم يكده شهر يار يسمع هذا الصوت الحلو يحمل إليه هذه
الألفاظ الساحرة حتى أطرق إلى الأرض غاضباً بصره متهاكاً ،
كأنه الطائر القوى ، هم أن يرتفع فى أجواء السماء فأثقلته
قوة قاهرة لم يستطع لها مقاومة ، فارتد إلى الأرض وجثم عليها
مدعناً مقهوراً . وتدنو منه شهر زاد فتمسح على رأسه وتنظر
فى وجهه وترسل إليه هذه الابتسامة الغامضة فيتلقاها
مشفقاً مغبطاً فى وقت واحد . ثم يظلان على هذا الوضع
لحظات ، وإذا هو يسألها « ألا تجلسين ! » . فتستجيب
له كما تستجيب الأمة الخاضعة للسيد المتسلط . فلا يزيد هذا
إلا حيرة وغبطاً . وهو يعيد سؤاله فى صوته الهادئ الذى
كأنه يأتى من بعيد : « ألا تنبئينى آخر الأمر من أنت ؟ !

وماذا تريدین ؟ . فتجيبه هذه المرة في صوت جاد فيه كثير من الرحمة والحنان : « من أنا ؟ ! أنا شهر زاد التي أحبتك قبل أن تعرفك كما لم تحب فتاة رجلاً قط ، والتي خافتك حين عرفتك خوفاً لم يخفه إنسان إنساناً قط ، والتي زفت إليك تتحدى الموت وتتحدى السلطان وتتحدى الحب والبغص جميعاً ، فبلغت من نفسك هذه المتزلة التي تراها أو التي لا تراها ، ثم أصبحت الآن وهي لا تفكر إلا فيك ولا تفكر إلا بك ولا تفكر إلا لك . ماذا أريد ؟ ! أريد أن تكون سعيداً موفوراً ، ولكني لا أعرف كيف أجعلك سعيداً موفوراً . من أنا . . . ! أنا من تحب أن ترى في أي ساعة من ساعات النهار ، وفي أي ساعة من ساعات الليل . أنا أملك حين تحتاج إلى حنان الأم ، وأنا أحتك حين تحتاج إلى مودة الأخت وأنا ابتك حين تحتاج إلى بر البنت وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوج ، وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليفة ، أنا كل هذا . وماذا أريد ؟ ! . أريد ما تريده الأم لابنها ، وما تريده الأخت لأخيها ، وما تريده البنت لأبيها ، وما تريده الزوج لزوجها الوفي ، وما تريده العشيقة لعشيقها المفتون . وقد سألتني فألحفت على في السؤال ، أفأذن لي في أن أسألك ؟ . فيرفع الملك إليها

بصره كالمنكر لما تقول ، ولكنها تتضحك وتماجن وتسأله :
« كيف أراك في هذا المكان من جنة القصر حين كان
ينبغي أن أراك في غرفتك تنهياً للخروج إلى حيث تستقبل
وزراءك وتصرف أمور ملكك ، أو أراك قد خرجت مبكراً
فأقبلت على شؤون الدولة تصرفها حفيظاً بها منكباً عليها .
وكيف أذنت لنفسك في أن تنسل من غرفتك على هذا النحو
الذى لم يعتده الملوك ، وعلى هذا النحو الذى لم يألفه المحبون ؟
فأنت لم تؤذنى أحداً من رجال حاشيتك بأنك مقبل على هذا
المكان القصى . ولولا أنك مراقب في قصرك كما يراقب أشد
الناس عداء للدولة وخطراً عليها لوجدت مشقة كل المشقة في
الاهتداء إلى مكانك هذا . ثم أنت لم تؤذنى ولم تؤذنى أحداً
من وصائقي ببسيعك إلى هذا المكان . وقد كنت خليفاً أن
تذكر أنى لا أكاد أنهض من مضجعى وأفرغ من زيتنى
حتى أسعى إلى غرفتك لتكون أول من يرانى ولاكون أول
من يراك . أترى إلى ذنوبك يا مولاي ! إنها عظيمة جسيمة ،
وإنك خليق أن تستغفر منها إلى أمتك هذه التى تعفبك من
الاعتذار وتستغفرك من تحدثها إليك في هذه اللهجة القاسية
التي إن صورت شيئاً فلنما تصور الحب والإشفاق والحنان .
ثم تضمه إليها وهى تقول : « حدثنى الآن كيف انتهيت

إلى هذا المكان ! أم تريد أن أحدثك أنا بهذا الحديث ؟ .
قال شريار : « وإنك لتعلمين كيف انتهيت إلى هذا
المكان ؟ » . قالت وقد عادت إلى ابتسامها الغامض وصوتها
الغريب : « إنك يا مولاي ملك عظيم ، ولكنك على ذلك
تمر بأطوار الطفل الصغير . وأى عسر في أن أقص عليك
بدء حديثك ؟ لقد أيقظتك أمس حين أوشكت الشمس
أن تزول ، وأنبأتني بأنك قضيت الليل مؤرقاً مسهداً . ولقد
اجتهدت في أن أسرى عنك وأردك إلى ما ينبغي لك من
الدعة والرضا ، وخيّل إلى أني تركتك أمس راضياً مجبوراً ،
ولكنني استيقظت مبكرة وأسرعت إلى غرفتك . فلما لم أرك
فيها ورأيت بابها إلى الطنف مفتوحاً استيقنت أنك قد أرتقت
من ليلتك هذه أكثر مما أرتقت في ليلتك تلك ، واستيقنت
أنك قد ضقت بغرفتك فخرجت منها مع الصبح وأخذت
طريقك إلى مكان عزلتك هذا ، فتبعتك حتى ألفتك مغرقاً
في هذا النوم الذي أغراه بك الجهد والإعياء ، أليس هذا
كل حديثك يا مولاي ! أحتاجة أنا إلى ذكاء الرجال أو
إلى كيد النساء لأعلم علمه ثم لأعيده عليك كما كان ؟ » .
وانتظرت أن يجيبها شريار ولكنه لم يجر جواباً . فعادت
إليه تسأله متلطفة : أمستخذون نحن من هذه القصة ؟ إنها

لا تدل على براعة ولا على مهارة ولا على قوة وأيد ، وإنما تدل على ضعف وتهالك وانحلال في الأعصاب ، . ومن أجل ذلك فكرت في أن أطبّ لك حتى أشفيك من هذه العلة التي لا أعرفها وما أراك تعرفها ، ولكني سأبرئك منها على كل حال . قال مبتسماً :- « وكيف تبرئني من داء لا تعرفينه ؟ » . قالت في صوت المرحّة المتعردة : « فإني طبيبة لا كالأطباء ، أداوى ما أجهل وأداوى ما أعرف ، وربما كنت على علاج الداء المجهول أقلر منى على علاج الداء المعروف » . قال وقد اتسع ابتسامه وأوشك أن يكون ضحكاً : « وكيف ذلك ؟ » . قالت : « ذاك أنى سأقلب نفسك على جميع وجوهها ، وسأرسل عليها من نفسى قوة لا تعرفها ولا تقدرها ، وسأرد عليك ما فقدت من بأس وأيد . إنك لا تعرفني . أأست تقول لى ذلك فى كل وقت ؟ : قال شهر يار حازماً : « فهذه علتى » . قالت : « سأبرئك منها » . قال : ستعرفيني نفسك إذا ؟ » . قالت فى كثير من الدل : « سأعرفك منها ما ينبغى أن تعرف لتسرد قوتك ونشاطك ؛ ولتغنى برعيتك هذه التى أخذت تهملها منذ حين . على أنى لا أدري لماذا تريد أن تعرفنى ! أضقت بحبى إلى هذا الحد ؟ » . فنظر إليها حائراً كأنه لم يفهم عنها . قالت فى دلال وحلة :

ولا تنظر إلى هذه النظرات الحائرة ! إنك ملك عظيم تدبر أمور رعية لا تكاد تحصي . وقد بلغت سنك هذه التي لا يبلغها الرجل حتى يكون قد خبر الدهر وانتفع بتجاربه . ألم تعلم بعد أن الحب لا يقتله شيء كما تقتله المعرفة ؟ إن كنت زاهداً في حبي ضيقاً به ، فإنني أستطيع أن أشفيك من علتك فأظهرك من نفسي على جميع أثنائها وأحنائها ، ويومئذ تنصرف عني وترهد في . ومن يلزمي ! لعلك تلحقني بأولئك النساء اللاتي أرسلتهن إلى العالم الآخر . ولكني أنا لم أزهد في حبك ولم أزهد في الحياة بعد ، وإذا فلن أمكنك من الانصراف عني والزهد في . وإذا فستسعى دائماً إلى أن تعرفني ، وسيخفى دائماً عليك مني بعض الشيء ، وستحبنى ما دمت تجهلني ، وستجد من هذه الحرب بين الحب والمعرفة قوة تحبب إليك الحياة وترغبك فيها . ولكن أين نحن الآن من النهار ؟ وأين نحن الآن من شؤون الملك ؟ وأين نحن الآن من شؤون أنفسنا ؟ ألا تحس ألم الجوع ؟ إلى لا أكاد أستقر من شدة ما أجده من هذا الألم . ولكن انتظر قليلاً . ثم تضرب إحدى يديها بالأخرى مرة ومرة وإذا الخدم يسعون وهم يحملون إلى الملك والمملكة ما يحتاجان إليه من طعام وشراب . ويهمهم أن يتكلم ولكنها تسبقه إلى الكلام فتقول ضاحكة : وأنت أسيرى منذ الآن يا مولاي ،

لن أفارقك حتى تفارقك علتك . إن غرفتك حرام عليك ،
 ستنفق الليل في غرفتي ، سأسلمك إلى النوم وديعة محفوظة ،
 سأستردك من النوم . كما يسترد المودع وديعته ، وسألزمك
 حتى تضرع إلى في أن أريحك من نفسي ساعة أو بعض
 ساعة . قالت ذلك وانحنت إليه فقبلت بين عينيه والخدم
 ينظرون وينظمون المائدة . ولكن شهر يار لم يقل شيئاً ،
 ولو كشف لنا عن نفسه لما عرفنا أكان سعيداً أم كان شقيماً .
 فقد كان أحب شيء إليه أن يكون أسير شهر زاد ، ولكنه
 كان يشفق أن تسلمه شهر زاد إلى النوم وأن تأمر النوم
 فيحفظ به حتى يرده إليها وتفوته بذلك أحلام شهر زاد .
 على أنه لم يكده يعود إلى طبيعته المألوفة التي رده إليها إقدامه
 على الطعام والشراب والحديث حتى نسي الليل وسهوده وهجرده
 ووطن نفسه مسروراً محبوراً على أن ساعة مع شهر زاد خير
 من كل أبامه تلك التي كان يحياها منفرداً أو كالمنفرد ،
 لا يلتقي زوجه إلا بمقدار وعلى ميعاد ، حسب ما تقتضيه
 ظروف الحياة للملوك الذين أثقلت قصورهم التقاليد التي
 تراكم بعضها فوق بعض على مر الدهور واختلاف الأجيال .
 وما يمنعه وقد فتحت له شهر زاد هذا الباب الذي لم يكن
 ينتظر أن يفتح له ، ما يمنعه أن يتمارض ويتكلف العلة

ويلقى إلى وزيره مقاليد الدولة يدبرها كما يشاء أو كما يستطيع حتى يبل هو من مرضه أو من تمارضه !! ما يمنعه أن يتكلف العلة ليخلص لشهر زاد ما دامت هي تريد أن تخلص له !! ولكن ما الذى حملها على أن تلقاه بهذا العطف الذى لم يتعوده ، وبهذا الحنان الذى لم يألفه ! أتراها صادقة فيما تظهر من ذلك أم تراها متكلفة ؟ ! وما الذى يدعوها إلى هذا التكلف وهي تعلم حق العلم أنها مستأثرة بقلب الملك وعقله تأمرهما بما تشاء دون أن تخشى منهما امتناعاً عليها ، ونهاهما عما تشاء دون أن تخشى منهما خلافاً ، وهي أكرم على نفسها وأرفع فى نفسها من أن تتملق رجلاً أو تتلطف له مهما يكن ؟ ! . هي إذا لا تتكلف هذه العواطف ، ولكنها مع ذلك لم تألف هذه العواطف ولم يألفها منها شهر يار ! وإنما هي غامضة دائماً مدلة دائماً ، لا تدنيه إلا لتقصيه ، ولا تلطف به إلا لتعنف عليه . أفتراها قد وصلت إلى دخيلة نفسه ووقفت على جليلة أمره وعرفت أنه مريض حقاً وأشفقت عليه من هذا المرض ، فهي تريد صادقة أن تبره وترفق به وتطبّ لعلته حتى يبرأ ؟ كل ذلك ممكن وغير ذلك ممكن سواء منه ما عرفه شهر يار وما لم يعرفه . فقد استقر فى نفسه أن صاحبه بحر لا يسبر غوره ، وليل لا تنجلي ظلمه ،

ولغز لا تحل مشكلاته . وهو على ذلك ناعم بعشرتها سعيد بما تحمله عليه من الرضا والسخط ، ومن اللذة والألم ، ومن النعيم والبؤس ، ومن الظفر والحرمان . فليتنهز إذا هذه الفرصة التي هيئت له ، ولينعم بهذه السعادة التي تعرض عليه ، وليعيش في ظل شهر زاد ناعماً بائساً وسعيداً شقيماً كما تعيش رعيته في ظله هو ناعمة بائسة وسعيدة شقيّة . وقد كان يظن أنه الملك ، وأن كلمته هي العليا ، وأن أمره هو المطاع الذي لا معقب له ، فقد ظهر له الآن أن هناك ملكاً أقوى منه وأعظم سلطاناً ، وأنه هو الرعية لهذا الملك . وهل شهر زاد آخر الأمر إلا قوة متسلطة عليه تصرفه كما تريد وتدبر أمره كما تهوى دون أن يستطيع امتناعاً عليها أو إباء ؟ !

وكذلك أنفق شهر يار نهاره الأول كالطفل خاضعاً لسلطان أمه الحنون تأمره فيأتمر ونهاه فينتهي ، واجدلاً في ذلك اللذة كل اللذة والنعيم كل النعيم . وكانت شهر زاد رفيقة به إلى أقصى غايات الرفق ، محبة له إلى أبعد آماذ الحب ، تصرفه في فنون الهزل والجد وتنقله في أطوار المرح والهدوء ، حتى إذا ضرب الليل سرادقه المظلم الكثيف على الكون أوت به إلى غرفة من غرفاتها فتحدثت إليه فنوناً من الحديث وأسمعتة ألواناً من الغناء وضروباً من الموسيقى . ثم

أقبلت إليه آخر الأمر باسمه هادئة وقالت له في صوت متكسر بعض التكسر فاتر بعض الفتور : « قد آن للطفل أن يستريح إلى النوم فيما أظن ، هلم إلى مضجعك يا مولاي » . ثم أخذت بيده ومضت وهو يتبعها مستسلماً محبباً لهذا الاستسلام منكراً له في قرارة نفسه ، سائلاً عن إرادته أين نددت ، وعن قوته أين شردت ، راجياً ألا تعود إليه هذه الإرادة وألا ترد إليه هذه القوة . فمن الخير أن ينعم الإنسان « بإجازة » يستريح فيها من إرادته وقوته ومن ملكات نفسه كلها . وقد أذن لشهر زاد بهذه الإجازة فهو ينعم بها غارقاً في لذاتها إلى أذنيه . وما هو ذا قد أوى إلى سريريه ، وما هي هذه شهر زاد تسوى له الوسائد حتى تطمئن إلى أنه قد استراح في مضجعه . ثم تنصرف عنه لنفسها شيئاً ، ثم تعود إلى الغرفة فتمضي فيها ذاهبة آتية مختلصة نظرة بين حين وحين إلى طفلها هذا الكبير . حتى إذا رآته قد اطمأن إلى النوم ومضى معه في طريقه المجهولة أوت هي إلى سريرها فقاصت فيه غوصاً ودعت النوم فما أسرع ما استجاب لها وشمل الغرفة هدهد متصل . أطلال هذا الهدوء أم قصر ؟ لا سبيل إلى معرفة ذلك ؛ فقد كان الليل قد قطع في طريقه شوطاً بعيداً قبل أن ينام العاشقان ، ولكن شهر يار يتنبه من نومه هادئاً مطمئناً لا يقول شيئاً ولا يأتي حركة ، وإنما يمد سمعه نحو سرير

شهر زاد فقد ألمّ به طائفه ذاك فمسّ كنفه مسّاً رقيقاً وألقى
في رُوعه هذه الجملة : « أفق ولا تحدث حسّاً فقد آن
أن تستمع لحديث شهر زاد » .

٤

ولا يطول انتظار الملك ، ولكنه يسمع قائلاً يقول : « فلما
كانت الليلة الحادية عشرة بعد الألف قالت شهر زاد . . . » ،
ثم ينقطع هذا الصوت ، ويبلغ أذن الملك صوت شهر زاد
رقيقاً رقيقاً وهي تقول : « بلغني أيها الملك السعيد أن وزير
الملك طهمان بن زهمان اضطر إلى إخفاء ما في نفسه من
الخوف على المدينة وأهلها مما أزمعت فاتنة ، وخرج وهو يقول
للملك : « إنه مبلغ تحدّي الأميرة للوك الجن جميعاً » .

فلما خلا الملك إلى ابنته قال لها في صوت باسم يملؤه الحنان :
« فستأذنين لي في أن أحدثك بما أبيت أن تسمعيه من
الوزراء ورجال القصر ؛ فإنهم يا ابنتي قد أشفقوا على أنفسهم
ومدينتهم وأهل المملكة جميعاً من هول هذه الحرب التي
تتعجلينها وهم يعلمون أن أهوال الحرب لن تبلغك ولن تبلغني
فإن لك ولي من ملكنا عصمة ووزرا . ولكنها ستبلغهم هم ،
ستعرض شبابهم للموت ، وستعرض أطفالهم لليتم ، وستعرض

شيوخهم للبؤس والئكل ، وستعرض نساءهم للتأيم والشقاء ،
 وستعرض أموالهم للفناء ، ستصب عليهم البؤس صباً في ألوانه
 المختلفة التي لم نذقها ولا ينتظر أن نذوقها ، ولكننا نعلم ما
 نعلم من أمرها بما نقرأ في الكتب وما نسمع في الأحاديث ،
 وقلما نراها رأى العين أو نحسها إحساساً مباشراً . فنحن
 لا نتنزل إلى مخالطة الرعية لنشدها حين تبهج وحين تبتس
 وحين يمسه جناح من لين أو يصيبها عارض من شدة .
 فلهم العذر يا ابنتي إن ارتاعوا أو التاعوا أو أشفقوا من هذا
 المكروه الذي يوشك أن يلم بهم فلا يبقى عليهم . وفي قلوبنا
 نحن الرجال قسوة ، وفي أكبادنا غلظ ، وفي طبائعنا شدة
 وعنف . ولكن قلوب النساء رحيمة ، وأكبادهن رقيقة ،
 وطبائعهن لينة صافية . فإذا دبّر ملوك الجن ما دبّروا وقدّروا
 أن ينصبوا لنا الحرب فقد كنت أنا خليفاً أن ألقاهم بهذه
 الشدة ، وأن أنصب لهم حرباً كالتى يريدون أن ينصبوها
 لى ، وأن أكيد لهم كما يكيلون لى . وكنت أنت خليقة
 يا ابنتي أن تشفقى من هذا الهول ، وأن ترقى بالرعية ، وأن
 تقترحى على وعلى الوزراء من وسائل السلم ما يرد عن الناس
 هذا المكروه . ولكنهم يا ابنتي قد رأوني صامتاً لا آمر ولا
 أنهى ، ورأوك مقدمة على هذا الأمر العظيم لا تحسين

حساباً لتعيبهم الفصائح وبؤسهم الواقع ، فأنكروا في نفوسهم
وهتوا أن يجهروا بما أضمرت قلوبهم . ولكنهم خافوك وخافوني
فأذعنوا للأمر على كره منهم ولم يقولوا شيئاً ، أو هم خافوك أنت
ولم يخافوني ، أنا ! فقد أصبحت شيئاً لا يخاف ، وإنما أنا هامة
اليوم أو غد كما يقول حتى الناس من حولنا ، وجنوة اليوم أو غد
كما ينبغي أن نقول نحن في لغتنا . وبهما يكن من شيء فإنهم
خافوك يا ابنتي لأن أمرهم إليك غداً أو بعد غد ؛ ولم يخافوني
أنا لأنني متصل بالماضي الذي ليس إلى رجوعه من سبيل . «
وهمت فائتة أن ترد على أبيها ، ولكنه مضى في حديثه
مترقفاً فقال : « ويظهر يا ابنتي أن الشيخوخة تدنينا من
العقل أو تدنينا من الجنون أو تدنينا منهما جميعاً . ولست
أدرى أحزم ما يضطرب في نفسي من الخواطر أم حتى ،
ولكني ملقيه إليك على علاته ، فخذيه مني كما هو وافعلي
به بعد ذلك ما تريدن ؛ فقد وصلت إلى السن التي لا
أستطيع أو لا أريد أن أبرم فيها أمراً . فيم يدبر ملوك الجن
لنا هذا الكيد ؟ وفيم ينصبون لنا هذه الحرب ؟ وفيم تلقين
كيدهم بمثله وتهئين لحربهم حرباً مثلها ؟ في شيء لا يعني
رعاياهم ولا رعيتنا من قريب أو بعيد . هم يحبونك ويتنافسون
فيك ، وأنت تزدريهم وترفعين عنهم وتمتنعين عليهم .

وماذا يعنى رعايانا البائسين مما نجد من الحب والبغض ،
وما نحس من العشق والهيام ! إنهم لا ينعمون حين ننعيم ،
ولا يبتسون حين نبتس ؛ وإنما تجرى حظوظهم من النعيم
والبؤس على قوانين لا صلة بينها وبين ما نستمتع به من
سعادة ، أو نرزع تحته من شقاء . ومن القسوة يا ابنتى
أن ننعيم وهم بائسون ، وأن نقوى وهم ضعفاء ، ونبتس وهم
فقراء ، نستمد من بؤسهم نعيماً ، ومن ضعفهم قوة ، ومن
فقرهم ثراء فكيف نضحى بهم فى سبيل أهوائنا وشهواتنا
وعواطف قلوبنا ، ونزعات نفوسنا ! . لو رفقت بهم يا ابنتى
لجنبتهم هذه الحرب التى يدبرها عشاقك ، وهذه الحرب
التي تدبرها أنت لهؤلاء العشاق ، ولاخترت لنفسك من
بين هؤلاء الملوك زوجاً تنعين بعشرته وينعم بعشرتك .
ومن يلزى لعل رعيتهما أن تصيب أطرافاً من هذا النعيم .
ولكنك يا ابنتى لا تجنّينهم حرباً ، وإنما تدفعينهم إليها
دفعاً كما تدفع الوقود إلى النار المضطربة التى لا تشبع مهما
يقدم لها من الحطب . وأمرك فى ذلك كأمر عشاقك جميعاً ،
كلكم يتبع هواه الجامح ، ويركب شهوته المندفعة ، ويضحى
فى سبيل نفسه بكل شيء وبكل حى . ليس هذا حقاً ،
وليس هذا عدلاً . وقد كنت أعجب آنفاً بما أوتيت من

العلم وما بلغت من الحكمة يا ابنتي ، ولكني أجد الآن حزناً
لاذعاً يؤدي شيخونحتي المتهالكة ؛ لأن ما أوتيت من العلم
وما بلغت من الحكمة لم يهيء لك وسيلة تسعدين بها غيرك
كما هيأ لك هذه الوسائل التي تُرضين بها هواك ، وتحققين
بها مآربك ، وتظهرين بها على عدوك . وقد يكون كلامي
هذا ثقيلاً عليك يا ابنتي ؛ فإني جربت الملك من قبلك ،
وعرفت أن الحق لا يبلغ من المראה في نفس أحد ما يبلغه في
نفوس الملوك ، وعرفت أن النصيح لا يثقل على أحد كما
يثقل عليهم . فلكل امرئ من نفسه ما تعود ، كما سيقول
شاعر من الناس فيما يقبل من الزمان . ونحن قد تعودنا أن
تستقيم لنا الأمور ، وأن تجري لنا على ما نريد لا على
ما يريد غيرنا . ونحن قد ألفنا أن نأمر ولا نأتمر ، وأن
نهي ولا ننهي ، وأن نطاع ولا نطيع ؛ فأصبح الشنوذ
لنا طبيعة ، والجموع لنا فطرة ، والاستبداد بالحياة والأحياء
لنا قانوناً . فإذا تحدث إلينا متحدث بالحق ، أو دعانا
داع إلى العدل ، أو رغبنا مرغّب في أن ننصف من أنفسنا
كما نتنصف لها ، ضبقنا بذلك أشد الضيق ، وكرهناه أعظم
الكره ، ونكّلنا بمن يدعونا إليه أو يرغبنا فيه تنكبلاً . ولو
أن وزيرنا قال لك بعض ما قلته الآن لأرسلته إلى الموت ،

أو لألقبته في غيابات السجن ؛ وهو من أجل ذلك لم يقل لك شيئاً ، ولكنه قلر في نفسه كل ما قلت لك .

ففكرى يا ابنتى في رعبتك وارقى بها ، بل فكرى في رعايا عشاقك وارقى بهم ؛ فإن نعيم ساعة أو نعيم عام أو نعيم الدهر كله إن ظفرت به لا يعدل نفساً من هذه النفوس الكثيرة التى سترهق ولا قطرة من هذه السماء الغزيرة التى ستراق . أسمعني لى يا ابنتى أم أنت ذاهلة عني مشغولة بتدبير أمرك هذا الذى تقدمين عليه ! » .

قالت فاتنة وقد غشى وجهها شيء من كآبة لم يلبث أن جلته ابتسامة حلوة : « لقد استمعت لك يا أبت فأحسن الاستماع . وما ينبغي أن أذهل عما تقول أو ما تعمل ، ومنك تعلمت أدب الحديث وأدب الاستماع وآداب الملك كلها . وما قلت لى يا أبت إلا الحق وما دعوتنى إلا إلى الرشد . ولكن أمن الحق أن أكره على ما لا أريد ؟ ! . إن هؤلاء الذين يخطبوننى إليك يعلمون حق العلم أنى لا أحب منهم أحداً ، ولا أبغض منهم أحداً ، ولن أتزوج منهم أحداً . أفإن نصبوا لى الحرب ليكرهونى على ما لا أحب ويحملونى على ما لا أَرْضى ، فلقيت كيدهم بكيد مثله ، ودفعتهم عن نفسى بما نعوذنا أن ندفع به عن أنفسنا ، أكون ظالمة آثمة ؟ ! »

فالتمس لى إذا يا أبت فرجاً من هذا الحرج ، وفرجاً من هذا المأزق . وهل يقصر إثم الحرب على هذه الحرب التى نحن مقدسون عليها ؟! ومتى رأيت الملوك يقدمون على حرب لا تدفعهم إليها شهواتهم الجاحمة وعواطفهم الجائرة ؟! ومتى رأيت الشعوب تُجَنَّب هذه الأهوال وتعصم من الحرب لغير مصالحها المؤكدة ومنافعها المحققة ؟! إن أثره الملوك والسادة والزعماء هى التى تثير الحرب دائماً وهى التى ترهق الشعوب دائماً . وأكاد أعتقد أن الشعوب إنما خلقت ليرهقها الملوك والزعماء بالحرب والسلم جميعاً . فليست الشعوب أعظم حظاً من السعادة أثناء السلم منها أثناء الحرب . إنا ندفعها إلى الموت حين نخارب ، وندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم ، فهى ضحية لنا على كل حال .

قال الملك : « فقد كنت أرجو أن يبيء لك علمك وحكمتك ابتكار لون من ألوان الحياة لا تشقى فيه الشعوب بسعادة الملوك والزعماء . ولكنى أراك تسيرين فى الطريق التى سار فيها الملوك من قبلك . . وقد كنت أنتظر غير هذا ؛ ولكن الظنون تكذب والآمال تخيب . »

قالت فاتنة : « صدقت يا أبت ! إن الظنون تكذب وإن الآمال تخيب . وما أكثر ما كذبت ظنوني وخابت آمالي !

وإنك لترى وجهي مشرقاً وثغري باسمي وعيني تفيضان بهجة
وبشراً ، ولو اطلعت على ضميري وقرأت دخيلة نفسي
لرأيت حزناً أى حزن ، وشقاء ، وشعوراً هو أقرب إلى اليأس .
والقنوط منه إلى أى شيء آخر . وإنى لأحدثك بهذا كله
كارهة وما كنت أريد أن أظهر لك منه على شيء ؛ فأنا
شديدة الحرص على ألا ترى مني ولا ترى عندي إلا ما
تحب . ولكنك قد باديتني . بما تجد محسناً بذلك إلى ،
فلا بد من أن أباديك بما أجد مسيئاً بذلك إليك . ولست هذه
أول مرة آذيت فيها نفسك الكريمة ، وشققت فيها عليك
بما يعتادني من همّ ثقيل . إنك يا أبت مستيئس مني لأنى
أسلك الطريق التى سلكها الملوك والأمراء من قبل ، فأحيا
لنفسى لا لغيرى ، ولا أرفق بهذه الرعية التى لم يرفق بها أحد
قط . وهذا نفسه هو مصدر شقائى ويأسى . فأنبئنى يا أبت
ما بال هذه الرعية لا ترفق بنفسها ولا تعنى بأمرها ولا تفكر
فى مصالحها ، وإنما تدعوها فتجيب ، ونأمرها فتطيع ،
ونوجهها إلى حيث تشاء فتتجه إلى حيث نشاء ، لا ينظر لها
أن تأبى إذا بلغها الدعاء ، ولا أن تعصى إذا صدر إليها
الأمر ، ولا أن تمتنع إذا وُجّهت إلى حيث لا تحب ؟ !
أفنبكون أرفق بها من نفسها ، وأحرص على مصالحها ،

وكرامتها مما تحرص هي على مصالحتها وكرامتها؟!
 ومع ذلك فأين يكون الفرق بينها وبيننا؟! أليس الرجال
 منها والنساء والشباب منها والشيوخ يشعرون كما نشعر ،
 ويحسون كما نحس ، ويجلسون اللذة والألم ، كما نجد نحن اللذة
 والألم ، ويحبون الخير ويكرهون الشر ، كما نحب نحن الخير ونكره
 الشر؟! فما طاعتها لنا في غير روية ولا تفكير ، بل في غير فهم
 لما تؤمر به وتقدير لما تدعى إليه؟! أترى أنا خلقنا من عنصر
 غير عنصرها ، أو أنها خلقت من نار غير التي خلقنا منها؟!
 لقد كنت أفهم أن نتسلط على الناس فلا يستطيعون لنا
 مقاومة ولا يحاولون علينا امتناعاً ؛ فنحن من نار وهم من طين .
 فأما أن نتسلط على الجن الذين خلقوا من عنصرنا فلا نجد
 منهم إلا الإذعان والاستسلام كما يتسلط ملوك الناس على الناس فلا
 يجدون منهم إلا الإذعان والاستسلام ، فهذا هو الذي يجير
 عقلى ويذهل لبى ويسكل خاطرى ويدفعنى إلى اليأس
 ويحملنى على أن أسلك الطريق التى سلكها الملوك من قبلى .
 قال الملك : « فإن قلبك فى حاجة إلى الرحمة يا ابنتى ،
 وعقلك فى حاجة إلى أن يكون أقوم تقديرًا للأمر . لقد
 نشأت على السلطان وتعودت حقوقه وواجباته . هُيئت لذلك
 منذ درجت ، وهبى له من قبلك آباؤك وأمهاتك . ونشأت

الرعية على عكس ما نشأت أنت عليه وعودت غير ما عودت ،
وهيئت لغير ما هيئت له منذ الزمان القديم الذي لانعرف له أولاً .
وكان هذا التفريق بين السيد والمسود خطأ . أفينبغي أن يستمر
الخطأ؟! أليس من الممكن وقد ارتقت عقولنا ونفذت أبصارنا
إلى كثير من حقائق الأشياء وعلمنا أن هذه الفروق بيننا
وبين الرعية مصطنعة لم تأت من الطبيعة وإنما جاءت من
الحضارة ، أفليس من الممكن أن نصلح أغلاطنا ونقوم
اعوجاجنا؟! بل أليس من الممكن أن نصلح أغلاط الطبيعة
إن كانت هذه الفروق قد جاءت من الطبيعة؟! . بلى ! هذا
ممكن ، هذا واجب يا ابنتي . ولكن لا بد للنهوض بهذا
الواجب من أن نشعر قلوبنا بالرحمة والإحسان ، ومن أن نؤمن
بأن حياة الملوك ليست حقوقاً كلها ولكنها واجبات أيضاً ،
وربما كان نصيب الواجب فيها أعظم من نصيب الحق .
ما الذي يمنعنا أن نشعر الرعية بنفسها ونبصرها بحقها كما
بصرناها بواجبها ، ونهيتها لا أقول لتستأثر من دوننا بالأمر ،
ولكن لتشاركنا في الأمر وتعيننا على احتمال أعبائه الثقالة؟! .
قالت فاتنة : « ومن أجل ذلك أنشأت المدارس يا أبت
وأذعت العلم وقد كان سرّاً مكتوماً . ومن أجل ذلك رفعت
إليك بعض النابهين من الدهماء فكلفتهم ما كلفتهم من أعمال

الدولة وقد كانت أعمال الدولة مقصورة على أفراد أسرتنا .
ومن أجل ذلك عرضت نفسك لسطخ الأمراء وكيد الشيوخ
من رؤساء العشائر وقد وصلت إلى كثير مما كنت تريد .
فلولا هذه السيرة التي سرتها في الرعية لما ثار الاعتراض في
نفوس الوزراء ورجال الحاشية حين أمرتهم أمرى فأذعنوا
له كارهين . هم الآن يضمرون الاعتراض وقد كانوا
لا يشعرون به من قبل . أفهذا هو الذي أردت إليه ؟ .
قال الملك : « هو هذا يا ابنتي » .

قالت فائتة ، وقد وثبت إلى أبيها فضمته في رشاقة وقبلته
في عنف : « وهو ما أريد إليه أيضاً . ولتطب نفسك ولتقر
عينك ، فلن يصيب الرعية من هذه الحرب التي أثيرها سوء » .
قال الملك وهو يتضحك : « ماذا تقولين يا ابنتي ؟ !
حرب لا يصيب الرعية منها سوء ؟ ! أحرب هي أم لعب ؟ ! » .
قالت : « بل هي الحرب كل الحرب » . قال : « أوضحي
يا ابنتي عما تريدين ؛ فإنني لا أفهم عنك شيئاً » . قالت :
« ذلك سرى الذي ستفهمه حين أزيل عنه الستار » . وأدرك
شهر زاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح .

وهم شهر يار حين انقطع حديث النائمة أن يفكر فيما
سمع ، ولكن النوم لم يمهله كما كان يمهله من قبل ، وإنما

سعى إليه حثيثاً . وسمع الملك صوت طائفه ذاك يقول :
 « كلا ، لا تفكير الآن ولا يقظة . لقد أودعتك شهر زاد
 إلى النوم ! وردك النوم إليها حيناً ، فستعود إلى النوم حتى
 تستردك منه شهر زاد كما تقدم إليك وعدّها أمس » .

وأكبر الظن أن شهر يار لم يسمع هذه الكلمات الأخيرة
 وإنما أغرق في نوم هادئ لا تروعه الأحلام ولا يقطعه
 الأرق . ويفتح عينيه بعد وقت طويل أو قصير فيرى الغرفة
 وقد أذن لضوء الشمس المشرقة أن يغمرها فظهرت جميلة
 رائعة متألقة ورأى ، شهر زاد قائمة من سريره غير بعيد وهي
 تمد إليه بصرها حلوّاً مداعباً كأنها تدعوه إلى أن يستيقظ ،
 وهي مع ذلك صامته لا تقول شيئاً ، ولكن وجهها يزدان
 بابتسامة حلوة تبعث الأمل وتدعو إلى النشاط . فلما رآها
 الملك ابتسم لها ، وهمّ أن يسألها كيف قضت الليل ، ولكنها
 ابتلرته بالسؤال فقالت : « كيف يجحد مولاي نفسه ؟ » .
 قال : « على خير ما أحب أن أكون ما دمت أنعم بقربك
 وأسعد منك بهذه النظرات الحلوة وبهذه النغمات الساحرة » .
 قالت : « لقد استيقظ مولاي غزيراً ، وأحسب أنه قد قضى
 ليلة هادئة » . قال : « كل الهدوء » . قالت : « ولكني
 أسأل مولاي أيجد نفسه من القوة والنشاط والصحة خيراً مما

كان أمس؟». فتردد الملك قبل أن يجيب، ولكنها لم تُعْخَل بينه وبين الجواب وإنما قالت: «سأجيب عنك يا مولاي، وسأعفيك من هذه الحيرة، وسأريحك من كذب لا تحبه ومن صدق لا تجد الشجاعة عليه. فأنت بخير ما في ذلك شك، وأنت اليوم خير منك أمس ما في ذلك شك أيضاً. ولكنك تخشى إن أنبأتني بذلك أن أخلّي بينك وبين العمل وتكاليف الملك، وإن أنبأتني بغير ذلك لتستبقى هذه الراحة التي أخلدت إليها أن تقول غير الحق. وأنت لا تريد أن أن تكذب لأنك لا تحب الكذب أو لأنك تشفق ألا أومن لك. أليس هذا كله حقاً يا مولاي؟!».

قال وهو يضحك وقد أخذ يستوى جالساً في سريره: «هو كل الحق يا أحب الناس إلى».

قالت في صوت العاتبة وقد مالت إليه تقبله وتلاطفه: «إنك لأشبه شيء بالطفل الذي يداور أمه أو معلمه الحازم. لا بأس عليك فلن يُخَلّي بينك وبين العمل، ولن تحرم جوار شهر زاد. أليس هذا كل ما تريد؟». ثم جلست إلى جانبه، وأدارت ذراعها حول عنقه، وأخذت تنظر إليه نظرات ملحّة كادت ترده من الذهول إلى مثل ما كان فيه من أمس. لولا أنها نهضت ثم أنهضته وانصرفت به إلى حيث

يستنشقان هواء الصباح مشرفين على جنة القصر من بعض الأطناف .
وقد أنفق الملك يوماً من أسعد أيامه ، لم يعرف فيه ألماً
ولا حزناً ، ولم يحس فيه حسرة على ما مضى ولا استطلاعاً
لما هو مقبل ، وإنما كان يعيش للساعات التي كان فيها
مستمعاً بهذه اللذات الهادئة المختلفة التي كانت تقدمها إليه
شهر زاد في غير تكلف وفي غير جهد ظاهر . فأما وجه
النهار فقد أنفقاه متروطين في حدائق القصر ، يقفان حيناً
ويسعيان حيناً آخر ، ويجلسان حين يحتاجان إلى الجلوس
أو حين يعجبهما هذا الموضع أو ذاك من الحديقة فيحبان
أن يطبلا البقاء فيه . أحاديثهما أثناء هذه الرياضة هادئة
كنفسيهما لا حوار فيها ولا جدال ولا تعمق فيها لشيء ، وإنما
هي أحاديث تجري على رسلها كما كانت حياتهما تجري
على رسلها ، وكما كان النسيم من حولهما يجري على رسله رخاء ،
وكما كانت الغصون تضطرب على رسلها في الهواء ، وكما
كانت الطير تتغنى على رسلها كذلك ، وكما كانت الأزهار
تتنفس على رسلها عما تنشر في الجو من عبير .

وكان شهر يار قد انغمس في هذه الحياة الحلوة الهادئة ،
فنسى نفسه ونسى ملكه ونسى خواطره التي كانت تعتاده أثناء
النهار وخواطره التي كانت تلم به أثناء الليل ، بل نسي

شهر زاد نفسها ، ولم يقلد أنها كانت معه تسليه وتلهيه وتأسو جراح نفسه ، وأن هذا النعيم الذى كان يستمتع به إنما هو من صنعها ليس غير . ولكن شهر زاد كانت بارعة فى العناية به والتلطف له حتى أنسته أنه موضوع العناية والرعايا . سحرته عن نفسه وعمما حوله بسيرتها ، كما كانت تسحره عن نفسه وعمما حوله بقصصها . ويظهر أنه تنبه لذلك فجأة فقطع ما كان يمضى فيه من حديث عادى ورفع رأسه كالواجب ونظر إليها محققاً فيها ، ثم قال لها بصوته الهادئ الذى كأنه يأتى من بعيد : « ألا تنبئينى آخر الأمر من أنت وماذا تريدن ؟ ! »

قالت وهى تضحك ضحكاً ينم عن بعض القلق : « أياكون الملك قد عاد إلى طوره الأول من الاضطراب والذهول ؟ أو يعود إلى هذا السؤال الذى لا يغنى شيئاً ولا يدل على شيء ؟ ! . . أنا من ترى ومن تسمع ، ومن تحس قربها منك ، وحبا لك ، وفناءها فبك ، وحرصها على أن تملأ نفسك غيطة ، وضميرك بهجة ، وقلبك أمناً وسروراً . إنك لا تسأل هذه الشجرة ولا هذه الزهرة ما هى ولا ماذا تريد ، وإنما تنظر إليها وترضى عنها وتعجب بها ، وتحمد الله على ما أنعم عليك من الاستمتاع بها . فانظر إلى كما تنظر إلى هذه الشجرة أو إلى هذه الزهرة ، وخذ منى ما أعطيك وأعطني ما أسألك

إن استطعت ، ولا تكلف نفسك أكثر من هذا . عش بحسبك وقلبك وضميرك ، وتخفف من عقلك بين حين وحين . عش عيشة الإنسان الحى لا عيشة العالم الباحث ؛ فإن للعلم والبحث وقتاً مقسوماً من حياة الناس ، وما ينبغى أن تكون حياتهم كلها علماً وبحثاً وتعليلاً وتحليلاً .

قال وقد أدار ذراعه حول خصرها اللطيف الرخص :
« فإنى لا أسألك الآن سؤال الباحث المستقصى ، وإنما أسألك سؤال الحب المدنف فقد عرفتك » .

قالت : « قد عرفتنى ! واحرباه ! سترهد فى إذاً قبل أن يتقدم النهار » ، ثم أغرقت فى ضحك غامض طويل .

قال : « قد عرفتك ولن أزهد فىك ! لأن معرفتى إياك تدفعنى على الاستزادة منك ؛ فأنت قصص دائم لأنك سحر دائم ، أخص ما تمتازين به أنك تشغلينى عن نفسى وعن ملكى وعمما حولى وعمن حولى ، بل تشغلينى عنك أيضاً » .

قالت وقد أغرغت فى الضحك : « إن كنت أشغلك حتى عن نفسى فما أدرى كيف تفكر فى أو تسأل عنى . ألا يمكن ألا أكون شيئاً ما دمت أشغلك عن كل شىء ؟ ! ألا يمكن أن أكون شيئاً غيرك فأنت تُشغل بنفسك عن كل شىء وعن كل إنسان ؟ ! ولكنك أنبأتني بأنى أشغلك عن نفسك . صدقتى

إني لا أفهم عنك ، وما أرى إلا أنك تمعن في فلسفة أشد مني غموضاً وأعظم مني استعصاء على الفهم . دع الفلسفة ودع التفكير ، وتعالان فنعم بهذه الساعات الحلوة التي تتاح لنا والتي نختلسها أو أختلسها أنا لك ولي من تكاليف الحياة . إني أشغلك عن نفسك وأشغلك عن نفسي وأشغلك عن كل شيء . ولكن ما رأيك في أن شيئاً لم يشغلي عن أن النهار يتقدم ، وعن أننا نوشك أن نجد لذع الجوع ، وعن أن من الحق علينا أن تنهياً للغداء ؛ ذلك أخرى أن يتيح لنا الإغراق في الفلسفة والإمعان في البحث عما وراء الطبيعة . هلم يا مولاي ، فستري أن هذا النعيم الحلو الذي استمتعنا به الآن ليس شيئاً بالقياس إلى ما هيأت لك شهر زاد هذه التي لا تعرف من هي ولا تلتري ماذا تريد .

وكانت شهر زاد قد هيأت للملك نعيماً لم يكن يقدر أنه سيتاح له في يوم من الأيام ، منذ حمرة الدماء تلك التي كانت تصبغ في نفسه أعقاب الليل ووجه النهار من كل يوم . فقد كان منذ تلك الأيام السود والليالي البيض قد ألف الحزن حتى لا يفلت منه إلا الحين بعد الحين حين كانت شهر زاد تقص عليه بعض أحاديثها أو تتمعه ببعض ما كانت تهدي إليه من سعادة حيناً بعد حين . فأما نعمة البال ورخاء

العيش وراحة الضمير وهدوء النفس المتصل فقد كانت
أشياء حُرِّمت على شهر يار وقُطِّعت بينه وبينها الأسباب ،
فلما تقدم النهار وكاد أن ينتهى أقبلت شهر زاد بالملك على
غرفة من غرفاتها فى القصر وهى تقول له عابثة به :

« سنعلم يا مولاي أنك لا تعرف من قصرِكَ هذا إلا أقل
ما فيه . وإنى لأرجو أن يدعوك ذلك إلى التفكير فيما تعرف من
أمر الملك والرعية ؛ فإنك إن جهلت من أمر قصرِكَ
وحاشيتك أيسره كنت خليقاً أن تجهل من أمر ملكك
ورعيتك أكثر مما تعلم . وكان الحكماء يقولون فى قديم الزمان
وسالف العصر والأوان : إن من أراد أن ينهض بالواجب فى
أى أمر من الأمور خليق به أن يعرف ما هو مقدم عليه
ويتبين دقائق ما هو ناهض به وحقائق ما هو مدبّر له ،
وَألا يقدم إلا عن بصيرة ، ولا يعمل إلا عن علم . وما أعرف
يا مولاي غروراً كغرور الذين ينهضون بتدبير أمور الناس
وهم لا يعرفون من دخائل هؤلاء الناس شيئاً ، أو هم لا يعرفون
منها إلا أقلها وأيسرها . إنهم يأمرّون دون أن يقدرُوا مقدار
احتمال الرعية لما يصدرُون إليها من أمر . وإنهم ينهون دون
أن يعرفوا إلى أى حد تطبق الرعية أو لا تطبق أن تنأى عما
نهى عنه ؛ لأنهم لا يعرفون نفوس الرعية ولا يبلون طاقتها

ولا يقدرّون حاجتها . ولكنى كنت أنهارك صباح اليوم
عن الفلسفة فيما بعد الطبيعة ، وها أنا ذى أخوض بك مساء
اليوم فى فلسفة الحكم وتديير أمور الرعية كأنى حديثه عهد
بقراءة أفلاطون وأرسطاطليس . فلنعد إلى ما كنا فيه
يا مولاي ، فإننى أريد أن أظهرك من قصرِكَ على أشياء لم
تكن تعرفها ولم تكن تفكر أنك ستعرفها ،

قال الملك وقد اشدت حاجته إلى الاستطلاع : « فأظهرنى
إذاً على ما تريد أن تظهرنى عليه . »

فقال : « على رسلك يا مولاي فما ينبغي أن تجرى
الأمور على ما تحب دائماً ، والعلم لا يبلغ إلا بعد الجهد فى
طلبه واحتمال العناء فى تحصيله . وإنى مدخلتك فى هذه
الغرفة وتاركة لك البحث ، نى أنحائها وأرجائها ما وجدت إلى
البحث ميلاً . فإذا أعياك البحث وأضناك الجهد فإننى
مشرطة عليك بعض الشروط لأريك ما لم تكن تتصور
أنك ستراه . » ثم دفعت باب الغرفة فاندفع . ونظر الملك
فلم ينكر فى الغرفة شيئاً ولم ير فيها شيئاً خليقاً بالالتفات ،
ولكنه مع ذلك جعل يحيل طرفه هنا وهناك ، ويطيل النظر إلى
بعض ما فى الغرفة من أداة وأثاث يريد أن يحيل إلى شهر زاد أنه
يبعث ويستقصي ويجد فى البحث والاستقصاء ، ثم يعترف لها بعد

ذلك بأنه لم يصل إلى شيء ، وإنما كان في هذا كله مخادعاً يريد أن يتعجل العلم بما أعدت له شهر زاد من أسرارها الحجة . ولكن شهر زاد ضحكت للملك ضحكة فاترة لا تخلو من بعض الغيظ وقالت : « لست جاداً يا مولاي ، وإنك لتعرف أني لا أخدع ولا يغرر بي . وإنك لتعرف أني لا أكره شيئاً كما أكره الكسل العقلي ، وهذا الطور الذي يحصل عليه المترفون من أطوار الحياة حين ينتظرون أن يقدم إليهم الهين واليسير مما يريدون لا يتكلفون فيه جهداً ولا يحتملون فيه عناء . فقد أنبأتك يا مولاي بأني سأقوم منك الآن مقام الساحرة الماهرة التي ستظهرك على الأعاجيب ، فلا تتعجل هذه الأعاجيب ، ولكن خذها بحقها ، وابلغها من طريقها ، واحتمل في سبيلها ما ينبغي أن تحتمل من جهد . فإن لم تفعل خرجنا من هذه الغرفة كما دخلناها ، وانصرف بك إلى غير ذلك من فنون اللهو والمتاع . فما أكرر ما في القصر من فنون اللهو والمتاع ! » .

قالت ذلك ثم ضربت إحدى يديها بالأخرى فأقبلت الوصائف مسرعات يستبقن ، كأن وجوههن فلق الصبح ، وكأنهن لحفتن ورشاقتهن لا يسعين على الأرض وإنما يسعين في الهواء . فلما رآهن الملك مقبلات سىء بهن وضاق بهن

ذرعاً ، وكاد بعض ذلك يظهر في وجهه لولا فضل من حياء
فرضه عليه أدب الملوك . فقد كان في جماهن البارع وحسن
الرائع منظر أنيق للعين وفتنة خلابة للنفس ، ولكن محضرهن
كان خليفاً أن يصرف الملك عن شهر زاد أو يصرف عن
الملك شهر زاد ، وكان أبغض شيء إلى الملك وأشقاه
على نفسه أن ينصرف عن فتنته أو أن تنصرف عنه فتنته .
فلما رأى الوصائف مقبلات لم يرتح لمقدمهن ، ولكنه أمسك
نفسه على ما لا تحب وانتظر حائراً أو كالحائر .

على أن انتظاره لم يطل ؛ فقد أقبلت إليه رئيسة الوصائف فحييت
وقالت في صوت عذب : « أياذن مولاي في أن يبدأ الحفل ؟ » .
قال الملك دهشاً متبالكاً مع ذلك : « أى حفل يا ابنتى ؟ ! » .
قالت الوصيفة : « كنت أظن أن مولاتنا قد آذنت
الملك بما هيأت له » .

قالت شهر زاد في شيء من الغضب : « فإنى لم أؤذن
الملك بشيء فأمضين ما أمرتن به » .

منذ هذه اللحظة نقل الملك من حياة إلى حياة ، ومن عالم
إلى عالم ، لم يدرك كيف كان ذلك ولم يستطع فيما استقبل
من أيامه أن يصور لنفسه أو لغيره كيف كان هذا الانتقال ،
ولما ذكر إلى آخر أيامه أن صوت شهر زاد لم يكذب ينقطع

بهذه الحملة المغضبة حتى شاع في الغرفة جو غريب قوامه أنغام موسيقية عذبة نفاذة إلى أعماق الضمائر أخاذة بمجامع القلوب . وقد حاول الملك أول الأمر أن يتعرف مصدر هذه الأنغام ، فنظر إلى الوصائف فإذا هن قائمات في أماكنهن لا يأتين بحركة ولا يحدثن حساً ، وليس في أيديهن أداة موسيقية أو ما يشبه الأداة الموسيقية من قريب أو بعيد ، ونظر إلى شهرزاد فإذا هي قائمة في مكانها وعلى وجهها ابتسامتها الغامضة التي لا تقول شيئاً والتي تقول كل شيء والتي لا تخلو مع ذلك من سخرية تحفيظ وتهيج . وأدار الملك بصره في الغرفة بنظر في كل مكان يريد أن يتبين لهذه الأنغام الساحرة مصدرها فلا يرى شيئاً ، وإنما يخيل إليه أن هذا الجو الموسيقي الذي أحاط به وأحاط بمن حوله أشبه شيء بالجو الذي يعيش فيه أثناء أوقاته العادية لا يعرف أين يتدنى ولا أين ينتهى . وكان أغرب ما في هذا الجو الموسيقي الرائع اختلاف أنغامه واثلافها في وقت واحد ، بل اختلاف الأصوات التي كانت تحمل هذه الأنغام واثلافها . فكان هذا كله يلتقي في روع الملك أن هناك أدوات موسيقية مختلفة لا تحصى تصدر عنها أصوات وأنغام متباينة ، ولكن قوة بارعة ساحرة قد أشرفت عليها ودبرت ما سنها من اختلاف حتى أحالته إلى اثتلاف .

ولم يمحض على إحساس الملك هذا الجو من حوله وقت
طويل حتى أحس الملك أنه يفرق في هذا الجو وينسى نفسه
قليلاً قليلاً ، كأنما كانت الحياة الشاعرة تنساب من نفسه
ومن جسمه شيئاً فشيئاً ، وإذا هو يفتى في هذا الجو المحيط
به فيصبح صوتاً من أصواته أو نغمة من أنغامه ، أو يصبح
جزءاً شائعاً في كل صوت من هذه الأصوات ، وحظاً مفرقاً
في كل نغمة من هذه الأنغام . وقد نسي كيف ابتداء هذا
الجو ، ولم يسأل نفسه كيف ينتهى ، وإنما استسلم لهذا
البحر الموسيقى الذى غمره كما يستسلم الغريق بعد أن يبذل
آخر جهده فى المقاومة ، وبقي له مع ذلك شعور واحد وهو
أنه فى حضرة شهر زاد وأنها تنظر إليه ساخرة منه راثية له ،
وتبسم له ابتسامتها الغامضة كأنها تقول له : « ألم أنبئك أنى
سأظهرك من الأمر على ما لم تكن تقدر أنك ستظهر عليه ،
وأنى سأطلعك فى قصرى على ما لم تكن تظن أن قصرى يحتويه ،
وأنى سأسحرى وأبهرك وأضطرك إلى هذا الاستسلام الذى
انتهيت إليه ، ومع ذلك فقد كنت تخيل إلى نفسك أنك
بدأت تعرفنى ! فذق الآن هذه المعرفة ، وتبين أنك لم
تجهلنى قط كما تجهلنى الآن . »

وينظر الملك إلى شهر زاد واجماً مبهوتاً ، ويريد أن يتكلم

فلا يطاوعه لسانه ، ويريد أن يتقدم فلا تطاوعه قدماه ؛ ولكن شهر زاد تسعى إليه هادئة كأنها الحياة تسعى إلى الجسم الهامد ، أو كأنها اليقظة تسعى إلى النائم المغرق في النوم ، حتى إذا بلغته وضعت يدها على كتفه وقالت له في صوت لم يستطع أن يفرق بينه وبين هذا الجو الموسيقي المحيط به وإنما خيل إليه أن الغرفة كلها تكلمه بهذا الصوت ، قالت له : « لا تُرْعَ يا مولاي فليس عليك من بأس » . ثم أخذت ذراعه ومضت به إلى مجلس من مجالس الغرفة فأجلسته رفيقة به وجلست إلى جانبه عطوفاً عليه ، وقالت له في صوتها هذا الحديد الغريب : « ألم أنبيء مولاي بأني سأذيقه من نعيم الحياة ألواناً لم يذوقها قط بل لم يذوقها إنسان قبله قط ! أفيري مولاي أنني قد وفيت بالوعد أو بدأت بالوفاء ! » .

قال الملك في صوته الخافت الذي كان كأنما يأتي من بعيد « ألا تنبئني آخر الأمر من أنت وماذا تريدني ؟ ! » .

قالت متهاكة : « ألا يشغلك ما تسمع عن هذه الفكرة الملحة عليك المضنية لك ؟ ! أليس خيراً من ذلك أن تسأل عن هذه الموسيقى من أين تأتي وإلى أين تمضي ؟ ! » . قال : « فإنها تأتي منك وإليك تعود » .

قالت : « فإذا لم يستطع سماعك أن يشغلك عني وعما أريد ،



فستشغلك عيناك يا مولاي . انظر ا !

ونظر الملك من حوله فرأى عجباً . لقد كان يعلم أن شهر زاد قد أقبلت به منذ حين على غرفة من غرفات القصر لها جدران تحدها وباب يغلق من دونها ، ومن هذا الباب قد دخلت الوصائف آنفاً ، ومن هذه الجدران قد نبتت أنغام الموسيقى كما ينساب الماء من العيون الجارية . لكنه الآن ينظر فلا يرى جدران الغرفة ، وينظر فلا يرى للغرفة سقفاً ولا باباً ، وإنما يرى نفسه في مكان متباعد الأرجاء مترامى الأطراف ، قد زين أحسن زينة وأروعها وأعظمها تألقاً ورشاقة ؛ وقد تقدم هذا المكان في بحيرة تحيط به من جهاته الثلاث واتصل بالقصر من جهته الرابعة ، فكأنه يد قد مدها القصر في هذه البحيرة لتأخذ منها شيئاً . وهذا المكان الواسع الرائع يغمره الجو الموسيقي ذاك كما كان يغمر تلك الغرفة الضيقة الساذجة . ولكن شيئاً آخر قد ظهر في هذا المكان ، فهؤلاء أزواج من الفتيات والفتيان قد حسنت وجوههم واعتدلت قدودهم وغمرهم بشر عجيب وهم فرحون مرحون ، يعبثون هنا ويجدون ويتراقصون في هذه الناحية ويسمرون في تلك الناحية ، والملك مسحور مبهور يرى كل شيء ولا يحقق في نفسه مما يرى شيئاً . وشهر زاد تقول له

في صوتها الهادئ الذي يقع في نفسه كأنه قطعة من هذا
الجو الفرح المرح : « لا بأس عليك يا مولاي ! فإنك
نرى هؤلاء الأزواج من الفتيان والفتيات وتسمع لأصواتهم
الجادة والعاثة ، ولكنهم لا يرونك ولا يسمعون لنا حين
تحدث ، لأنهم لم يخلقوا بعد ولكنهم سيخلقون في يوم من
الأيام ، ألم أحدثك بأني ساحرة ! فقد قصصت عليك
العجب من أنباء الماضي ، فأنا أقص عليك العجب من
أنباء المستقبل . ولكنك يا مولاي لا تؤمن بالقصص وإنما
تلهي به كما يلهي به عامة الناس . ولو قد آمنت بالقصص
كما تؤمن به شهر زاد لما رأيت فيما تشهد الآن سحراً ولا فتنة ،
ولرأيت في هذا العالم الذي يبتدعه القصص ملجأ تأوي إليه ووزراً
تعتصم به إذا ضاقت نفسك بهذه الحياة الراكدة التي يحياها
الناس حين ينامون وحين يستيقظون وحين يضطربون في أمورهم
اليومية . هلم يا مولاي فقد بدأنا رحلة لم نتقدم فيها إلا قليلاً .
ثم تنهض متأقلة ، وتسهنض الملك مثلطفة وتمضي به أمامها
وقتها لا يدرى الملك أطال أم قصر ، ولكنها قد انتهت به إلى حافة
البحيرة فوقفت وأشارت بيدها في الفضاء أمامها وقالت للملك :
« انظريا مولاي ! ألا يشوقك أن تستمتع بما يستمتع به هؤلاء من النعيم » .
وينظر الملك فيرى أسراباً لا تحصى من الزوارق قد ملأت

البحيرة مختلفة ألوانها مزدانة أجمل زينة وأروعها يغمرها الضوء فكأنها تسبح فيه كما تسبح في الماء ، تصدر عن بعضها الموسيقى ، ويصدر عن بعضها الغناء ، وكلها يصور الفتنة والسحر والجمال .
 ويهمّ الملك أن يقول شيئاً ، ولكن شهر زاد تضمه إليها رفيقة به وتقول له في صوت فاتر ساحر : « لا تقل شيئاً يا مولاي ! فقد خلصت نفسك لي كما خلصت نفسي لك منذ الليلة . انظر إلى هذا الزورق يا مولاي ! إنه يدعونا فلنجب دعوته . إذاك لن تستجيب له حتى تنحسر عنك أيامك المثقلة بالهموم والأحزان والتجارب . وإني لن أستجيب له حتى أعود كما كنت قبل أن أتحداك وأتحدى عندك الملك والموت والحب جميعاً . هلم يا مولاي لنعد إلى شبابنا القديم النقي الذي لا يبدسه إثم ولا تشوبه فتنة ولا تثقله تجربة ، وإنما هو ناصع كضوء الشمس ، رقيق كضوء القمر ، حلو كابتسامة العذراء » .

ويرى الملك نفسه مع شهر زاد في زورق من هذه الزوارق الرائعة التي تسبح في الماء والضوء والموسيقى والغناء جميعاً . ولكن ماذا ؟ هذه يد تمس كتف الملك ، وهذا الملك يثوب إلى نفسه فجأة وإذا هو نائم في مكانه من زورقه ذاك قد غلبه النوم على شعوره المستمتع بما كان يجد من لذة ونعيم . ثم

ردته اليقظة لا إلى شعوره ذاك ، ولكن إلى صوت يعرفه لأنه سمعه قبل ذلك ، وإذا هذا الصوت يقول : « فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد الألف قالت شهر زاد . »

ثم ينقطع الصوت ويمد الملك عينه ويمد سمعه فيرى شهر زاد مغرقة في نوم هادئ ، ويسمعا تقول في صوتها الرائع الحلو : « بلغني أيها الملك السعيد أن فاتنة قالت لأبيها : ذلك سرى الذى ستفهمه حين أزيل عنه الستار . . . »

٥

وملوك الجن يا مولاي لا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه ملوك الناس حين يكتب بعضهم إلى بعض من قطع الآماد البعيدة في الأوقات الطويلة ليظهر بعضهم على رسائل بعض . ولكن لهم فنوناً من الحيلة يقطعون بها أبعد الآماد في أقصر الأوقات ، يكون أحدهم في أقصى الشرق فيبلغ ما يريد لصاحبه في أقصى الغرب قبل أن يرتد إليه طرفه ، لا تعوقه مسافة ولا تصده أمواج البحر ولا عقاب البر ولا عواصف الجو ، كأن لهم أرواحاً تسمى بينهم بالرسائل ؛ فكلهم بعيد من صاحبه إلى أقصى غايات البعد ، وكلهم قريب من صاحبه إلى أدنى آماد القرب . وما أكثر ما يأخذ الناس عن الجن ! ولكن ذلك لا يتأتى

لهم إلا بعد الجهد والمشقة، وحين يخطر لروح من أرواح الجن أن يتألف فرداً من أفراد الناس . ومن يدري يا مولاي العل الناس فيما يستقبل من الأيام أن يتعلموا من الجن وسائلهم هذه في استخدام الأرواح يتواصلون بها على بعد الشقة وتناى الآماد . ومهما يكن من شيء يا مولاي فقد أقبل وزير الملك طهمان بن زهمان قبل أن يفرغ الملك من حديثه إلى ابنته، وجيلاً يُسحق وجهه في كثير من الجهد، ومذعوراً يُسِرّ ذعره في كثير من العناء . فلما مثل بين يدي الملك والأميرة قال في صوت متهدج مضطرب : « لقد أبلغت تحدى مولاتنا إلى ملوك الجن جميعاً في البر والبحر والجو ؛ فكلهم قبل التحدى ، وكلهم أنذرونا بحرب تبدأ الآن ، ولكنها لن تنتهى فيما يقولون إلا حين تستأسر مولاتنا للمنتصر » . ثم وقف واجماً ذاهلاً لا يكاد يعقل شيئاً ، بل لا يكاد يأنى حركة .

فنظرت إليه الأميرة باسمه ساخرة وقالت في صوت المتصاحكة : « ثم ماذا أيها الوزير ؟ » .

قال مضطرباً متلعثماً : « ثم إني أقبلت يا مولاي أرفع الأمر إلى مولانا وإليك وأتلقى أمركما » .

قالت : « فأى أمر تريد أن تطلقى ؟ » .

فوجم الوزير ، ونظر أمامه والتفت عن يمين وشمال ، كأنه

بلمس من يلهمه الرد على الأميرة . فلما لم ير أحداً قال في صوته
للهدج : « فهل يأذن مولانا في أن نجمع مجلس الحرب ؟ » .
قال الملك : « هو ذاك » .

قالت الأميرة : « وما سعى أن يصنع مجلس الحرب ؟ » .
قال الملك : « يصنع يا ابنتي ما تصنع مجالس الحرب في
مثل الحال التي اضطررنا إليها . فهناك أوامر يجب أن تصلر ،
وجنود يجب أن تُعبأ ، وأمر يجب أن تُهَيَّأ » .

قالت فاتنة : « فأرح نفسك يا أبت من مجلس الحرب
فلسنا في حاجة إليه . لن تصلر الأوامر ولن تعبأ الجنود ولن
يهيأ لهذه الحرب شيء . اذهب أيها الوزير فأذن في الجن
ألا يراعوا ؛ فليس عليهم من بأس ، وإن هذه الحرب التي
بدأت منذ الآن ستنتهي دون أن يصيبهم منها مكروه ، بل
أنا أجو أن يصيبهم منها خير كثير » .

هنالك وثب الملك وقد تاب إليه حزمه وعزمه وعاد إليه
حدة وجدّه ، كأنما هب من نوم عميق ، طويلاً فاستقبل يقظة
حافلة بمجلائل الأعمال وعظام الخطوب ، فقال : « اعبئي
يا ابنتي ما شئت أن تعبئي ، وجربي ما أحييت أن تجربي ،
وتهبي لهذه الحرب الغريبة التي دفعتنا إليها كما تريدن ؛
ولكن دعينا نعدّ للحرب عدتها ونستقبلها كما تعودنا استقبالها ؛

فإن تنجح وسائلك لم يكن في استعدادنا شر ولا في احتياطنا ضرر ، وإن تخفق تجاربك لا تؤخذ الرعية والمملكة من تقصير الساسة وإهمال القادة . ثم التفت إلى وزيره قائلاً : « ادع لنا مجلس الحرب ، وما أرى إلا أنك قد فعلت » .

قال الوزير : « فإن قادة الجند وساسة الملك بباب مولانا ينتظرون أن يؤذن لهم في الدخول » .
قال الملك : « فأدخلهم إذاً » .

وأقبل القواد والحكام والمشيرون ، فحيا كل منهم وأخذ مجلسه حيث ينبغي له أن يجلس ، ثم أخذوا يتدبرون ويفكرون ويتشاورون ، ولم تكن عنايتهم بحماية الأمن الخارجى أشد من عنايتهم بحماية الأمن الداخلى . فقد تسامع أفراد الرعية وجماعاتها بهذه الحرب فى أقل من طرفة عين ، فبعضهم أشفق منها فأخذ يحايط للمستقبل ، وبعضهم أدركه الذعر فأخرجته عن صوابه وتجاوز به القصد فيما ينبغي أن يعمل أو يقال ، وبعضهم انتهر فرصة كان ينتظرها فإذا هو يكيد ويمكر ويتربص الدوائر بالدولة القائمة أو بالحكومة العاملة لهذه الدولة ، وبعضهم كان أقرب من هذا همه وأقصر نظراً وأشد إثارة لنفسه بالخير وأحرص على تحقيق منافعه العاجلة فأخذ يقامر ويغامر ويجمع المال ويكثر الذهب والفضة



ويُدخِر المَوْن غير حافل بما سيكون لذلك من أثر في حياة من حوله من الأفراد والجماعات ، وإنما ركب شهوته واتبع هواه لم يفكر إلا في إرضاء مطامعه وتحقيق منفعه . ولم يكن بدًّا من الاحتياط لهذا كله والضرب على أيدي هؤلاء جميعاً . ولم يكن بد من أن يأمن الخائف ، ويطمئن المذعور ، ويحمى من لا حامى له إلا النظام والقانون . ولم يكن بد لتحقيق هذا كله من أن تصدر الأوامر وتتخذ الأهبة . ولكن ملوك الجن يا مولاي ليسوا كملوك الناس لا يتعرضون للإهمال ولا يوصمون بالتقصير ولا ينتظرون أن تلم بهم الكوارث وتفاجئهم الحوادث ، ولكنهم يستعدون لكل حادثة ، ويتأهبون لكل كارثة ، ويسبقون الخطوب بالاستعداد للدرتها ، تنفذ بصائرهم إلى ما وراء الحاضر كما تنفذ أبصارهم إلى ما وراء الجو الذي يعيشون فيه . وهم من أجل ذلك لا تدهمهم داهية ، ولا تلم بهم ملامة إلا استخرجوا قوانين قد هيئت ، وأوامر قد أعدت ، وكلفوا تنفيذ القوانين وإجراء الأوامر جماعات من أعوانهم قد أعدوا لهذا كله من قبل ، ولم يعرف أحد أنهم أعلوا له أو كلفوا القيام عليه .

ومن يدري يا مولاي ! لعل ملوك الناس يعرفون من هذا بعض ما يجهلون وينهشون منه لمثل ما يتبهاً له ملوك الجن ، فلا تؤخذ

دولهم على غرة ولا تفجئوها الحوادث على غير تهيؤ ولا استعداد .
ومن أجل هذا كله يا مولاي لم يحتج طهمان بن زهمان
ووزراؤه وأعوانه إلى وقت طويل ليحزموا أمرهم ويفرغوا من
تدبير الأمن الداخلي ؛ وإنما مروا بذلك مرّاً سريعاً ، واستقامت
لهم أمورهم في ذلك على خير ما أحبوا .

وكانت فاتنة تسمع وترى وتبتسم غير حافلة بما تسمع
ولا آبهة لما ترى ، ولكنها مع ذلك كانت تجد شيئاً من الرضا والغبطة
لأنها كانت ترى أباها حازماً عازماً يدبر الأمر وينفذ القضاء
كعهده حين كان قوياً جليلاً نفاذاً غير منهالك ولا مستيئس .
فلما فرغ القوم من تدبير أمور الرعية ، أخذوا يعرضون
أمور الحرب ويهيئون لاستقبال العدو المغير . ولم يكن الأمر
هيناً ولا ميسوراً ؛ فهم قد كانوا تعودوا أن يحاربوا هذا الملك
أو ذاك من ملوك الجن ، ولم يكونوا ينتظرون أن يحاربوا ملوك
الجن جميعاً . وهم كانوا قد ألفوا أن يستعدوا للشر يأتيهم من
البحر أو يأتيهم من البر أو يخرج لهم من البحر أو ينجم لهم
من الأرض ، ولكنهم لم يألّفوا أن يأتيهم الشر من هذه الوجوه
كلها في وقت واحد ؛ فلم يكن أمرهم سهلاً ولا تشاورهم رقيقاً .
وكانت فاتنة مع ذلك تنظر إليهم وتسمع منهم غير حافلة
ولا مكترثة . على أن شيئاً من الرثاء بلغ نفسها القاسية آخر

الأمر فقالت لأبيها :

« ارفق بنفسك وبهؤلاء القادة والساسة يا أبت ، فلستم في حاجة إلى كل هذه الخطط التي تدبرونها وتقلرونها وتديرون فيها الحوار . إن مملكتنا معرضة لشر لا قبل لها به ، فإما أن تنجح خطتي التي رسمتها والتي لا تعلمون منها شيئاً ، وإما أن نهلك جميعاً دون أن تبقى لنا باقية » .

قال الملك وعلى ثغره ابتسامة مُرّة خير منها العيوس : « هو ذاك يا ابنتي ، فإنك لا تثبتيني بشيء أجهله ، ولكني لا أحب أن أؤخذ على غرة أو أن أوقى من تقصير ، فلاأجاهد ما استطعت إلى الجهاد سيلا ، ولأعذر ما وجدت إلى الإعذار طريقاً ، وليجر القضاء بعد ذلك بما شاء ! » .

وبما كاد الملك يفرغ من كلامه هذا حتى تغير من حوله كل شيء ، فإذا الأرض تميد ، وإذا الجو يكفهر ، وإذا ظلمة قائمة تريد أن تأخذ المدينة من جميع أقطارها ، وإذا سحب متراكمة متراكبة تظهر في السماء مرسلة في الجو بروقاً خاطفة وعوداً قاصفة ، وإذا الوزراء والساسة يذهلون عما حولهم ، وإذا القادة ينصرفون كل إلى موضعه من قيادة الجيش ، لعله يعمل عملاً أو يبلى بلاء . والملك ثابت مكانه لا يريم ، ناظر أمامه لا يحول طرفه إلى يمين أو شمال ، وقد جمدت على ثغره

ابتسامة كانت حائرة فاستقرت في مكانها كأن نفس الملك لم تجد قوة ولا وقتاً للتفكير أو التقدير فضلاً عن الابتسام أو العبوس . وفاتنة باسمه كأن شيئاً لم يتغير من حولها ، وكأن حدثاً لم يحدث ، وإنما هي قائمة كعهدا آنفاً حين كانت تنظر إلى مجلس الحرب في كثير من السخرية وفي كثير من الرثاء ، وحين كانت تنظر إلى أبيها في كثير من الرحمة والحب وفي كثير من الإكبار والإجلال .

على أن صوتاً هائلاً يملأ ما بين الأرض والسماء فجأة ، قهقز له جنبايات القصر ، ويثب له الملك ومن معه من أصحابه كأنما دفعهم اللوالب في الفضاء ، وإذا هم يسرعون إلى الأطناف يشرفون منها لا يدرون كيف أسرعوا ولا كيف دفعوا ، وإنما يرون أنفسهم مشرفين ينظرون وكأنهم لا يرون ، ويصغون وكأنهم لا يسمعون لكثرة هذه الجواهر التي أقبلت إلى القصر فرعة جزعة تجار بالاستغاثة وتمعن في الضراعة ، وقد استيقنت مخطئة أو مصيبة أنها ستجد عند الملك أمناً من هذا الخوف ووزراً من هذا الفرع . والملك قائم مكانه ينظر ويصغى ، ولا يزيد على النظر والإصغاء . وماذا يستطيع الملك أن يفعل وقد زلزلت الأرض زلزالها ، وليست السماء أبشع ثوب رآه سكان الأرض والجو . فالظلام يتكاثف ، والسحاب يتراكم ويتدافع ، والبرق

يغمر المدينة بضوء مخيف لا يكاد ينصب عليها حتى ينقشع عنها ، والرعد يتجاوب في الجو بأصوات متهدجة كأنها أصوات الجبال ، والبحر من بعيد هائج مائج تصطخب أمواجه اصطخاباً لا عهد لأحد به ، وترتفع إلى السحاب فتتصل به لا يدري أبلغته لأنها ارتفعت حتى انتهت إليه ، أم بلغها لأنه انخفض حتى انتهى إليها ، أم سعدت هي في السماء ما وسعها الصعود وهبط هو إلى الماء ما وسعه الهبوط حتى التقت السماء والماء شر لقاء .

وفاتنة قائمة باسمه لا تقول شيئاً . ولا تأتي حركة ، ولا يظهر على وجهها الروح أو ما بصور الروح من قريب أو بعيد . على أنها تسعى رفيقة رشيقة محتفظة بإبتسامتها الحلوة حتى تبلغ أباهها الملك ، فتمس كفه في خفة وسرعة ، وتقول له في صوت هامس عذب : « منظر رائع يا أبت ! . . . »

ويهم الملك أن يقول شيئاً ولكنه يرد عن القول ؛ فهذه المناظر الرائعة المروعة الهائلة ثابتة لا تتحول مرسله للروح والروعة جميعاً دون أن يصيب المدينة منها شر أو ينال أهل المدينة منها مكروه . هذا البحر قد بلغ من الهياج أقصاه وانتهى من الثورة إلى غايتها ، حتى لا يشك من يراه أنه متجاوز حدوده فغامر ما وراءها لا يدع شيئاً أتى عليه إلا

ازدرده ازدراداً وعنى على آثاره تعفبه كأن لم يغن بالأمس ؛
وهو على ذلك واقف عند حدوده لا يتجاوزها بل لا يكاد
يلغها ، كأن سدوداً خفية قامت بينه وبين هذه الحدود
ترده عنها ومنعه أن يبلغها فضلاً عن أن يجوزها . وهو يثور
ويعور ويهيج ويعوج ويرسل في الفضاء أصواتاً منكراً كأنما
تتمزق عنها أمواجه تمزقاً ، ولكنه على ذلك لا يبلغ شيئاً ،
ولا يستطيع أن يمس الأرض بأذى .

وهذه قطع السحاب تزدحم وتصطدم ، وتحدث ما تحدث
من بروق ورعود ، وترسل ما ترسل من الصواعق المهلكة ،
ولكنها على ذلك لا تصيب أحداً بما يحب ولا تصيب أحداً
بما يكره ، وإنما هي تأتي ما تأتي من الأمر وتحدث ما تحدث
من الهول كأنها تلعب فيها بينها تريد أن تظهر أهل الأرض
على فنون من اللعب ليس لهم بها عهد من قبل .

وهذه الرياح تتناوح ، منها ما يقبل ومنها ما يدبر ، ومنها
ما يئامن ومنها ما يشأم ، ولها أحياناً هفيف كهفيف
الأغصان ، وأحياناً أخرى فحيح كفحيح الحيات ، وأحياناً
أخرى صفير مخيف ، وأحياناً أخرى زئير مزعج ، ولكنها
على ذلك لا تصنع شيئاً ولا تؤذى أحداً .

وهذه قطع من الجبال مختلفة ألوانها متباينة أحجامها ،

قد أقبلت من بعيد ، كأنما قذفها الحبايق تريد أن تدمر
 بها المدينة تدميراً ، وهي تمضي في الفضاء مسرعة على ضخامتها
 كأنها السهام الرقاق حتى لا يشك من يراها في أنها تحمل
 الموت والدمار ، وفي أن قطعة منها يكفي أن تهوى إلى الأرض
 فتسحقها سحقاً ، وتمحق ما عليها ومن عليها سحقاً ، ولكنها
 على ذلك لا تكاد تدنو من المدينة حتى تجمد في مكانها
 من الجوكأنها قد شددت إلى السماء بأمراس الكتان كما
 يقول الشاعر القديم ؛ فهي لا تقبل ولا تدبر ولا ترتفع ولا
 تنخفض ، وإنما تظل معلقة مكانها كأن كل قطعة منها ظلة
 هائلة قد علقت في الجو لترد عن أهل الأرض حر الشمس .
 وهذه الأرض تنشق عما أضمرت ، وتنفجر فيها ينابيع
 من اللهب هنا ومن الماء هناك ، وترتفع هذه الينابيع المحرقة
 وتلك الينابيع السائلة في السماء إلى حيث لا يستطيع البصر
 أن يتابعها في الارتفاع ، وإنما يرتد عنها خاسئاً وهو حسير ؛
 ولكنها على ذلك لا تحرق شيئاً ولا تغرق شيئاً ؛ وإنما تمضي
 وتمضي في ارتفاعها ، وتمضي وتمضي في انساعها ، ثم
 تتضاءل قليلاً قليلاً ، وإذا هي تهبط ثم تهبط ، وتضيق ثم تضيق
 حتى تعود هزيلة نحيلة إلى فوهتها التي خرجت منها ، ثم تنضم
 عليها الأرض كأن لم تكن شيئاً لتنشق عن مثلها في مكان آخر .

وعلى هذا النحو يضطرب الجو والبر والبحر أروع اضطراب
وأشدّه هولاً دون أن يحدث عن ذلك ما يؤذى أو يسوء .
وهذه جماعات الرعية من الجن كان يملؤها الروع منذ
حين فجعلت تملؤها الروعة الآن . كانت تجأر بالاستغاثة
والضراعة آنفاً ، فهي تجأر بالرضا والإعجاب والافتتان الآن .
وهذا الملك ينظر إلى ابنته نظرات إن صورت شيئاً فإنما
تصور ذهول الحائر الواجم الذي عجزت نفسه عن التفكير
وانعقد لسانه عن القول ؛ فهو قائم مبهور في مكانه ومن حوله
وزرائه في مثل حاله كأنهم التماثيل .

وهؤلاء قادة الجيش قد أقبلوا لا يدرون أيرضون أم
يسخطون ، فهم يرون ما يرون من الهول ويحسون أنهم لا
يلقون منه كيلاً ، وفيهم مع ذلك حماسة الجند المستبشرين ؛
فكلهم كان يود لو يبلى بلاء ويسجل لنفسه بالانتصار
أو الموت فخراً يتحدث به أعقابه بعد آلاف السنين ولكنهم
مع ذلك قد وجدوا أنفسهم وجنودهم عاجزين كل العجز
عن أن يقدموا حين كان يجب الإقدام ؛ يريدون أن يتقدموا
إلى أمام فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً كأنهم قد ثبتوا في الأرض تثبيتاً
فإذا أرادوا أن يتراجعوا إلى وراء وجدوا ذلك هيناً ميسوراً .
وهم قد أقبلوا حائرين ثائرين يقولون بصوت واحد ولسان

واحد : « هذا هو السحر أيها الملك ! هذا هو السحر الذى لم يعرفه قبل اليوم أحد من الجن ولم يعرفه قبل اليوم أحد من الناس » .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .
 وهم شهياري أن يفكر فيما سمع من هذا القصص الغريب ، ولكنه لم يصل إلى ما أراد من ذلك ؛ فقد أحس نفسه ثقيلة عليه لا يستطيع تحريكها إلى التفكير ، وأحس جسمه ثقيلًا عليه لا يستطيع دفعه إلى النشاط ، وأحس كأن نفسه قد ثبتت في مكان بعينه لا تستطيع أن تجوزه ، وكأن جسمه قد ثبت في مضجعه فهو لا يستطيع أن يأتى فيه حراكا .
 وأحس مع ذلك زورقه ذاك يضطرب به اضطرابا خفيفاً هيناً على الماء ، كأنه أرجوحة الطفل تضطرب به اضطراباً خفيفاً لتدفعه إلى النوم . وأحس مع هذا كله ذلك الجو الموسيقى الغريب هادئاً حلواً رقيقاً يدنو منه هوناً ما ، وينأى عنه هوناً ما ، كأنه النسيم الهادئ يداعب صفحة البحيرة في تأنق وترفق وظرف . ثم ينأى الملك من نفسه أو تنأى عن الملك نفسه ، وينحى إليه على هذا كله كأنه يرى فيما يرى النائم أنه في زورق جميل خفيف يسبح به وبشهرزاد النائمة منه غير بعيد في الماء والضوء والموسيقى والغناء جميعاً .

على أن غناء عذبا يبلغ سمعه كأنه ترتيل الملائكة - لو
 أن للناس أن يسمعوا ترتيل الملائكة - فلا يكاد يمس سمعه
 حتى ينتهى إلى نفسه الشاعرة فيوقظها في أناة ويستلها من
 النوم في لطف ، كما كان أبو نواس يستل من الدن روحه
 في لطف ، وإذا الملك يفيق من نومه ، ولكنه يمسك نفسه
 في هذا السكون الذى كان فيه قبل أن يخرج من النوم كأنه
 كان يريد أن يستيقى حلوة هذا الغناء .

وكان يظن ، كما يظن الحالم حين يستيقظ ، أنه يغالط
 نفسه ويغالط النوم . وأن البقطة ذاهبة بلذة أحلامه لاحالة ،
 ولكنه مع ذلك يسمع هذا الغناء العذب ويحس موقعه من
 قلبه وبتيين الأصوات التى تحمله والألفاظ التى تحويه .
 وكأن هذه الأصوات كانت تصدر عن هذه الأمواج
 الصغيرة التى كانت تصطفق من حوله وتداعب زورقه هذا
 الغريب ، وكأن هذه الأمواج كانت تدعوه بصوتها ذلك
 العذب قائلة في لغة فاوسية رقيقة حلوة : « أفق أيها الإنسان
 السعيد لتستمتع بالبقطة كما استمتعت بالنوم ، ولتنعم بالشعور
 كما نعمت باللاشعور . أفق أيها الإنسان السعيد : فما أقل

الذين تتاح لهم السعادة في حياتهم هذه القصيرة ! خذ حظك منها حريصاً عليه كلفاً به فإنك لا تدري متى تفارقه أو متى تفارقها ؛ كما أنك لم تدرك كيف لقيتها أو كيف لقيتك . أفق أيها الإنسان السعيد فإن أخص ما تمتاز به السعادة أن الذين ينعمون بها لا يدرون أيقاظ هم أم نيام .

ثم يبعد الصوت ويتضاءل الغناء ، وينسجع الملك فلا يسمع إلا اصطفاق الأمواج هادئاً ناعماً رقيقاً كأنه صوت الحرير يمس الحرير . ثم ينظر الملك فيرى شهر زاد في سريرها غير بعيد وعلى وجهها ابتسامة حلوة وإشراق رائع وغبطة لا سبيل إلى وصفها ، وهي تمد إليه عينيها كما يمد إليها عينيها ، تريد أن تقول له صامته ما كان يريد أن يقول لها صامتاً : ما أعذب هذا الصوت وما أجمل هذا الغناء ! ولكنها لا تقول شيئاً ، كما أنه هو لم يقل شيئاً ، وإنما تركت عينيها مملودتين إليه كما ترك هو عينيها مملودتين إليها .

ثم تمضي لحظات طوال أو قصار ، وإذا الملك يستوى جالساً في نفس الوقت الذي تستوى فيه شهر زاد جالسة ، وإذا الملك ينهض قائماً في نفس الوقت الذي تنهض فيه شهر زاد قائمة . وإذا الملك يسعى خطوات قصاراً كما تسعى شهر زاد خطوات قصاراً . وإذا العاشقان يلتقيان فيتعانقان

فيغيان في قبلة عرفا أولها ولم يعرفا آخرها ، ثم يفيقان ، وإذا الزورق ينساب بهما في نهر ضيق هادئ كأن مياهه قد ثبتت في مجراها ، وقد كُسى شاطئاه عن يمين وشمال عشباً أخضر كثيفاً كأنه السندس . وينظران فإذا جماعات من الفتيات ينحدرن مسرعات عن يمين وشمال إلى النهر يحين بالزهر النضر والأغصان الخضرة ويدعون العاشقين أن هلمَّ فقد بلغتما جزيرة النعيم .

ويرسو الزورق في مرمى قد هيئ له ، ويصعد منه العاشقان صامتين ، ولكن البهجة تغمر وجهيهما وتنطق عن قلوبهما بما لا تستطيع أن تنطق به الألسنة أو يصوره البيان المبين . وقل ما شئت والتمس عند القائلين ما أحببت من وصف الجئات الرائعة والرياض البارة والحدائق الملتفة والغابات المتكاثفة والأزهار المنسقة والغدران المصفقة ، فلن تبلغ مهما يكن حظك من ذلك وصف هذه الجزيرة التي ارتقى إليها العاشقان حين صعدا من زورقهما ذاك صامتين لا يقولان شيئاً .

وكيف تريلنى على أن أصف لك ما لا يوصف ، أو أن أصور لك ما لا سبيل إلى تصويره . لقد انعقد لسان شهریار لأنه أحس وعجز عن تصوير حسه ، وانعقد لسان شهرزاد لأنها شعرت وعجزت عن تصوير شعورها . ومع ذلك فما أكثر ما قال الملك بعينيه لشهرزاد! وما أكثر ما قالت شهرزاد بعينها للملك !

ويخل إلى أن لو أتيح لكاتب أن يترجم بعض ما كانت
تقوله هذه الأعين لزعم أن شهرزاد كانت تقول للملك :
أترى إلى هذا النعيم ! لقد وغدتك به ، وكنت أظن أني
سأكون أقدر منك على احتماله ، وأنى سأكون منك مكان
الترجمان يدلك عليه ومعتك به ويصف لك دقائقه ،
ولكني مع ذلك لم أستطع أن أثبت لقوته ولا لرقته ولا لسحره ،
فانتهيت إلى مثل ما انتهيت أنت إليه من العجز والاستسلام .
وكان شهریار يقول لشهرزاد : نعم ! لقد قهر هذا النعيم
قوتك الثائرة ونفسك الجائعة ، كما قهر قوتي المتهالكة ونفسي
المستسلمة . . ولقد سوى بيننا في هذا الضعف الحلو وهذه
الراحة الممتعة أو هذا المتاع المريح : لقد أنزلت إلى حيث
أنا ، أو رفعتني إلى حيث أنت ؛ فأنا أراك الآن رأى العين ،
وأنا أعرفك الآن حق المعرفة ، وأنا لا أدرى بأى الأمرين أنا
أسعد حقا : أبهذا النعيم الذي يغمرك ويغمرني ، أم بهذه المعرفة
التي جلّت لي نفسك الغامضة وكشفت لي شرك المكنون .

وكانت شهرزاد ترسل إلى الملك من عينيها وشفتيها ابتسامات
ساحرة لم تخل من سخرية ، ولكنها كانت سخرية واضحة
يملؤها الحب والحنان ، وليس لها حظ من قسوة أو مرارة ،
وكانت هذه السخرية تلقى في روع الملك أن يستمتع بهذا



النعم الذى يغمرك ويغمرنى ، واستمتع بهذا النعم الذى
تجده من جلاء نفسى الغامضة وانكشاف سرى المكنون ،
ونخذ من هذين النعيمين أكثر ما تستطيع أن تأخذ ؛ فإنك
لا تدرى متى ينحسران عنك ، كما أنك لا تدرى متى يسُرا
لك ولا كيف يسرا لك . والشئ الذى ليس فيه شك هو
أنك ستعود ملكاً تدبر أمور الناس وتصرفها كما تريد ، وأنك
ستعود رعية تدبر أمورك شهرزاد وتصرفها كما تحب . ولكن أرجو
ألا يشق عليك تدبير الملك ، وألا يثقل عليك غموض شهرزاد .
وبعد وقت لا أدرى أ طال أم قصر أحس الملك لسانه
ينطلق وصوته يبلغ أذنيه ، وإذا هو يقول : « أين نحن ؟
وماذا نرى ؟ وماذا نسمع ؟ ألا تنبئينى آخر الأمر من أنت ؟
وماذا تريدن . . ؟ ! »

قالت شهرزاد متضحكة : « ماذا ؟ ! ألم تقل عيناك منذ
حين إنك قد عرفتني حق معرفتي ، وإنك تنعم بهذه المعرفة ؟ !
فما سؤالك عما تعرف ؟ . أين نحن ؟ لقد سمعنا أننا فى
جزيرة النعم . ماذا نرى ؟ إنما نرى أشجاراً وأزهاراً ورياضاً
وأثماراً ، بذلك تسميها اللغة ، لأنها تشبه من قريب أو بعيد
ما تعودنا أن نرى فى مملكتك تلك التى تركناها أمس ،
والتي لو أردنا أن نرجع إليها دون أن يعيننا قصص شهرزاد

لما بلغناها قبل أن ينتهى ما قلر لنا من عمر . ماذا نسمع ؟
نسمع غناء تحمله إلينا أصوات هؤلاء الفتيات اللاتي نراهن
ولا يريننا . أتعرف من هؤلاء الفتيات ؟ ! . . .

قال الملك : « ومن أين لى أن أعرفهن . . ؟ ! وهل عرفت شيئاً ، أو هل عرفت أحداً مما رأيت ومن رأيت منذ أمس ؟ ! »
قالت شهرزاد : « قد عرفت من . فأما هؤلاء الفتيات فإني أعرفك بهن إن شئت . ولكن أمسك عليك نفسك وأمسك عليك راحتك وأمسك عليك ما يملأ قلبك من غبطة وبهجة ونعيم . هؤلاء الفتيات هن اللاتي لم ترسلهن إلى الموت لأن شهرزاد شغلتهن بما قصت عليك من أنباء الماضي ، وبما تقص عليك الآن من أنباء المستقبل ، وستشغلن عنهن بما تعرف فيها وما تنكر منها من وضوح وغموض . فهن فرحات مرحات ، تراهن الآن بصورن النعيم كل النعيم ، ومنهن الراضية كل الرضا ، ومنهن الساخطة كل السخط ، ومنهن المترددة بين ذلك ، ولكنهن على هذا فرحات مرحات فيما ترى ؛ لأن حياتهن لم تقتضب فى غير إبانها ، ولأن شبابهن لم يرد عنهن رداً عنيفاً . وكانت هذه الألفاظ التي كانت شهرزاد تنطق بها متقطعة متفرقة تبلغ أذن الملك لاذعة ، وتنتهى إلى قلبه موجعة . ولم تتمها شهرزاد حتى كان الملك قد تاب إلى نفسه واستجمع

شعوره كله ، وأخذ يعرض ما رأى بقطاً وثناً . ولكنه ينظر
 فيرى نفسه في زورقه ذاك ، ويرى الزورق ينحدر به في
 النهر متجها صوب البحيرة التي جاء منها ، وعن يمينه وشماله
 تلك الجماعات من الفتيات يحين بالأزهار والغصون والغناء ،
 ولكن في تحيتهن حزناً أشبه بهذا الحزن الذي تصوره تحية الوداع .
 وينظر الملك إلى شهرزاد فيراها جالسة منه غير بعيد معرضة عنه
 وعن الزورق وعن شاطئ النهر الجميلين وعن جماعات الفتيات
 وما يحين به من أزهار وغصون وغناء ، وقد أطرقت تنظر في كتاب .
 قال الملك دهشاً : « تفرئين ! يا عجباً ! أنى لك هذا الكتاب ؟ ! » .
 قالت شهرزاد في لهجة التي لا تكثر بما تسمع ولا تهتم لما
 تقول : « يا عجباً ! أنى لنا هذا الزورق وأنى لنا هذا النهر الذي
 ننحدر فيه ، وأنى لنا هذه البحيرة التي نقبل عليها ؟ ! انظر أيها
 الملك السعيد ... قالت ذلك وأشارت أمامها بيدها . ونظر الملك
 فلم تبهج نفسه لما رأى ، وإن امتلأت إعجاباً به وعجباً له .
 فقد رأى النهر يتسع من ضيق ، ويتفرج من تقارب ،
 ويشد البعد بين شاطئيه حتى يمتزج بالبحيرة امتزاجاً ،
 ورأى وجه النهار قد امتنع وأسبغ عليه شعوب عجيب يشيع
 في النفس ألماً هادئاً وحزناً فاتراً ، ولكنها على ذلك يؤذيان
 النفوس . وأحس كأن كل شيء من حوله قد أدركه شيء

من ذبول ؛ فالنسيم فاتة فيه شيء من حرارة مؤذية . . والأمواج متضائلة تصطفق اصطفاقاً خفيفاً كأنما تحاول أن تشكو آلاماً خفية فلا تستطيع الجهر بما تجد إلا في مشقة شاقة وعسر عسير . والطير تحاول أن تتغنى صافآت في السماء أو راقصات على الغصون ، ولكنها تتغنى فاترة حتى كأن غناءها أشبه شيء بالأنين أو الشكاة ، وأشعة الشمس هادئة ذابلة تمس ما حولها في فتور كأنها تصدر عن جدوة أوشكت أن تنطفئ ، وهي مع ذلك تحمل حرّاً رطباً ثقيلاً تندى له الجباه ويتصبب له العرق أحياناً . كل شيء هامد خامد ، وكل شيء جامد راكد ، وفي الجو فتور لا يحتمل وثقل لا يطاق . وإذا نفس الملك تخرج بهذا كله ، وإذا قلبه ينحرق في صدره خفقا ضئيلاً ثقيلاً ، وإذا نفسه تصطبغ بحزن شاحب مُمِض ، وإذا هو يصبح كله حزناً وركوداً كما أن ما حوله حزن وركود . وشهرزاد أمامه مطرقة مغرقة في القراءة كأنها لا ترى شيئاً ولا تحس شيئاً ، وهي مع ذلك تختلس النظرة إلى الملك بين حين وحين تمد إليه طرفها لترده عنه ، كأنما تراقبه حريصة على ألا يشعر أنها تراقبه .

وقد أخذ ضوء الشمس يضعف شيئاً فشيئاً ، وكأن النهار أحس برد الموت يتمشى فيه ، فجعل يرتدى من الظلمة معطفاً فاحماً قائماً ثقيلاً ؛ ثم يحمد كل شيء ويحمد كل شيء ، ويقف

الزورق في مكانه كأنما شد إلى قاع البحيرة بسلاسل غلاظ ثقال .
وتنهض شهرزاد فاترة مثاقلة ، وتقول في صوت هادئ
متكسر : « انظر أيها الملك السعيد فإن النعيم والبؤس دولة بين
الناس ، ينعم بعضهم ويشقى بعضهم الآخر ، وينعم الرجل منهم
أياماً أو ليالى من الدهر ، ثم يشقى أياماً وليالى أخرى ، وينعم
الرجل منهم ساعة من نهار أو ساعة من ليل ثم يشقى سائر
ساعات النهار ، أو سائر ساعات الليل . وقد أخذت بحظك
من النعيم ، وأخذت بحظي منه ؛ فلنأخذ الآن بحظنا من البؤس ،
ولنستقبل الآن نصيبنا من الحزن ، ولنحتمل الآن عبأنا من الشقاء .. »
وينظر الملك فيرى — ويا هول ما يرى — ! يرى على
شاطئ البحيرة من يمين وشمال شيئاً يشبه الرياض والجنات
وما هو من الرياض والجنات في شيء ، شيئاً يشبه أن يكون
أشجاراً باسقة في السماء وما هي من الأشجار في شيء ،
إنما هي أشياء بخيل إلى الملك مرة أنها الشجر ومرة أنها العمود
قد تُبِتت في الأرمس وطالت في السماء وامتدت لها فروع
تشبه أن تكون الغصون ، وبِتت في هذه الفروع زوائد تشبه
أن تكون الورق ، وقامت على هذه الغصون وفي أثناء هذه
الزوائد كائنات تشبه أن تكون الطير ، وأسبغ على هذا كله
ضوء ذابل فاتر شاحب يشبه أن يكون الظلمة لولا أن العين

تنفذ منه إلى ما وراءه في كثير من المشقة والجهد والإعياء ،
 وخرجت من أقواه هذه الكائنات التي تشبه الطير أصوات
 تريد أن تكون غناء ؛ ولكنها لا تبلغ الجحوى حتى يكون بعضها
 بكاء وبعضها أنيناً وبعضها حشرجة كحشرجة الصرير
 المحتضر . هذا الملك يذعر الملك أشد الذعر ، ولكنه لا يستطيع
 أن يترجم عما يجده ، وإنما هي الرعدة تتمشي في جسمه
 كله فيضطرب اضطراباً عنيفاً ، ثم تستقر لتأخذ الملك بين
 حين وآخر . وقد انعقد لسانه واحتبس صوته وجعلت قطرات
 من الدمع تساقط على وجهه بين حين وحين ، وهو مقبل
 على شهرزاد يريد أن يسألها أين هو ؟ وماذا يرى ؟ وماذا
 يسمع ؟ وماذا يجد ؟ ولكنه ليس في حاجة إلى هذا السؤال ؛
 فقد خلصت نفسه لشهرزاد ، وخلصت له نفس شهرزاد
 منذ وقفاً معاً على شاطئ تلك البحيرة في ذلك الجحوى الموسيقى
 الرائع وأمام تلك الأعراب من الزوارق البديعة .

لقد فهمت عنه شهرزاد ، وهي تعجبه بلسان لم ينعقد ،
 وصوت لم يحتبس ، ووجه يستطيع أن يبين عما يجده قلبها
 من حزن لاذع وغىظ يملؤه الحنق ورحمة مع ذلك يملؤها الحنان :
 (انظر يا مولاي ! هؤلاء ضحاياك ! هذه الكائنات التي
 تشبه الطير وما هي بالطير أتعرفها ؟ ! إنها نفوس أولئك الفتيات

اللاتى أرسلتهن إلى الموت منذ ثرت ثورتك المنكرة بالنساء
فاتخذتهن أداة للهوك وسيلة إلى إرضاء ما أفسد قلبك من
غضب وما أفسد نفسك من انتقام .

تستطيع أن تحصي هذه الكائنات فسترى عددها مطابقاً
لعدد أولئك الفتيات اللاتي أهدرت كرامتهن في غير حب ،
ثم أزهقت نفوسهن في غير إشفاق . فهذه النفوس قائمة في
هذه الجنة التي تشبه الجحيم ، أو في هذا الجحيم الذي يريد
أن يكون جنة فلا يستطيع . إنها بائسة ، إنها يائسة ، إنها
شاكية ، إنها باكية ، إن هذه الأصوات التي تسمعها تنطلق
بالبؤس واليأس والبكاء والشكاة منذ أرسلتها إلى هذا المكان
حتى تؤدي عنها حساباً يوماً ما . فاذرف ما تستطيع أن تذرف
من دموع ، واحمل ما تستطيع أن تحمل من حزن ، واعمل
ما تستطيع أن تعمل من خير . وتجرع ما تستطيع أن تتجرع .
من ندم ، وأقم على هذا كله عمرك وأعماراً كثيرة تعدله طولا ،
فلن تغسل قطرة من تلك الدماء التي سفكتها ، ولن تُرضى
نفساً من هذه النفوس التي أزهقتها ، ولن تمحو سيئة من هذه السيئات
التي اقترفتها إلا أن يمسك جناح من رحمة الله ، وينالك فضل
من عفوه ؛ فإن الله في الناس حكمة هو بالغها ، وأمرأ هو منفذه .

ثم يرق صوت شهرزاد ويلين حتى كأنه رحمة كله ، وإذا

هى تقول : « ومع ذلك بل من أجل ذلك قد أحبتك أيها الملك ونحيت عندك الحب والموت جميعا . وما أدري كيف أعلل هذا الحب أو كيف أفهمه ؛ فقد كنت أظن أنى أبغضك أشد البغض ، ولو لم أزف إليك لقتلت نفسى جزعاً ويأساً . وقد كنت أظن أنى أستطيع أن أردك عن ذلك الإثم المنكر الذى كنت غارقا فيه ، وما كان أحب إلىّ مع ذلك أن أنعم بحبك ليلة ثم أذوق الموت بيدك وآتى إلى حيث أشارك هذه الطير فيما تعلن من بؤس ويأس وبكاء وشكاة . وقد كنت أقدر بعد أن ذقت حبك ونعمت بقربك أنى سأردّ الموت عن نفسى وعن أمثالى من فتيات الدولة بما أهيك به من قصص . وقلبي يشهد ونفسى تعلم أنى ما أهيك بالقصص إلا لأستأنف النعم بحبك وأطيل السعادة بقربك ؛ فقد كنت أثرة أظهر الإيثار . وكنت محبة لنفسى أزعم فداء غيرى من النساء وكنت كلفة بإثملك البشع أريد أن أشرب كأسه من يدك وأؤخر شرب هذه الكأس ما وجدت إلى تأخيرها سبيلا . وقد ظفرت منك بما أردت ، وبلغت من حبك ما أحبيت ، فشاركتك فى سعادتك ، وشاركتك فى شقائك ، وقاسمتك ما أتيح لك من نعيم ، وشاطرتك ما قضى عليك من بؤس ، وعصمت منك نساء الدولة على غير إرادة منى .

ومن يدري ! لعل آثرت نفسك من دونهن بخير كُنَّ يطمعن فيه ويطمحن إليه . ففي نفوس الناس وفي نفوس النساء خاصة فساد كثير وشر عظيم تخفيه صروف الحياة وخطوبها ، وتظهره محن الحياة وتجاربها . ومن يدري ! لعل إثمك ذلك المنكر قد جعلك فتنة للعداوي كما جعلك فتنة لى . ومن يدري ! لعل اللاتي رددت عنهن الموت قد كن يحسدننى على هذا الموت ، ولعلهن أن يحسدننى الآن على الحياة ! بل من يدري ؟! لعل هذه الأصوات المهيبة الرهيبة التى تسمعها الآن لا تشكو منك وإنما تشكو البعد عنك والشوق إليك . ومن يدري ؟! لعل هذه الشكاية الملحة المؤذية أن تكون عفواً عنك واستغفاراً لك . فنفس الناس عامة ونفوس النساء خاصة ألباس مشكلة معضلة قد عجزت عن حلها حتى فطنة شهرزاد . إن هذه النفس الغامضة التى نغصت أيامك وأرقت ليلالك لا تمتاز بشيء ، وإنما هى نفس امرأة لا أكثر ولا أقل .

املاً نفسك إذاً أيها الملك من هذا الشقاء الذى تشهده الآن كما ملأتها آناً من تلك السعادة التى شهدتها فى جزيرة النعيم . واستقبل ليلك وقد ملأت نفسك من البؤس والنعيم جميعاً ! فإنك لا تدري أين يجدرك الغد ، ولا عم يتسم لك الصبح . ولا ماذا تضر لك الأحداث .

ويحسّ الملك كأن يد شهرزاد تمضي رفيقة في شعر رأسه فتبعث في جسمه طمأنينة وهدوءاً ، وفي نفسه أمناً وراحة وروحاً . ثم ينسى الملك نفسه أو تنساه نفسه ، ولكنه يفيق وقد تقدم الليل وأطبقت الظلمة من حوله على كل شيء إلا ذُبالة ضئيلة في ناحية من نواحي الزورق تنشر ضوءاً هادئاً غريباً ، وصوت يعرفه ويألفه يقول : « فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد الألف قالت شهرزاد .

ثم ينقطع هذا الصوت المعروف المألوف ويصل إلى الملك صوت شهرزاد فاتراً أول الأمر ، نشيطاً بعد ذلك قليلاً قليلاً وهو يقول : « بلغني أيها الملك السعيد أن قادة الملك طهمان بن زحمان أقبلوا عليه حائرين ثائرين يقولون : « إنه السحر أيها الملك ! إنه السحر الذي لا عهد به من قبل لأحد من الإنس أو من الجن ! » .

قال الملك : « نعم إنه السحر الذي لا أعرف له مبدأ ولا منتهى » . ثم التفت إلى ابنته فاتنة كأنه ينتظر منها أن تجيب على ما قال هو وما قال القواد . ولكن فاتنة ظلت قائمة باسمه في وجهها إشراق يصور نفسها فرحة مستريحة ، ويصور شيئاً من الإعجاب والرضا ، ويصور كثيراً من الأمل والثقة والفوز . فلما سمعت مقال أيها ورأت التفاته إليها . قالت في طمأنينة وهدوء : « إنه السحر لأنه غير مفهوم ، وسيظل سحراً

ما دام سرّاً مكتوماً فإذا أزيلت عنه الأستار وفهمت مخبّأته أصبح علماً شائعاً يشارك فيه القادرون على فهمه والنهوض بأعبائه. قال الملك : « متى يمكن أن يفهم ، وأن يكشف عن مخبّأته ؟ ! » قالت فاتنة : « بيننا وبين ذلك آماد يا أبت . فيجب قبل كل شيء أن تنجلي الغمرة ، وتكشف الغمة ويُرَدّ المغيرون إلى أوطانهم مقهورين . ماذا أقول ! بل يجب أن يستسلم المغيرون ، وأن ينزلوا من هذا القصر نفس المتزلة التي كان كل واحد منهم يريد أن أنزلها من قصره . »

قال الملك : « فأنت تريدان إذاً أن يستأسروا . » قالت فاتنة : « ما من ذلك بُدء . يجب أن يستأسروا ، ثم يجب أن يذعنوا ويؤمنوا ويتلقوا ما يُعْمَلُ عليهم من أصول الصلح التي يقوم عليها نظام الحكم عندهم وعندنا . فليست المسألة أن تثار الحرب ثم تخمد ناراها ، وإنما المسألة أن تمنع الحرب من أن تثار أو أن تمنع الحرب إذا أثّرت من أن تصيب الأبرياء بما لا ذنب لهم فيه ولا حق لأحد أن يصبّه عليهم من الموت والدمار . »

قال الملك وقد أخذ الرضا يعود إلى قلبه ، وجعل البشر يفيض من وجهه : « هذا كثير يا ابنتي ! هذا أكثر مما كنت أرجو ! هذا أكثر مما كنت أنتظر ! هذا أكثر مما

كنت أظن ! إنك لتكلفيتنا أعظم مما نستطيع أن نحتمل ،
وتتقلبن بنا بين اليأس والأمل وبين الخوف والأمن في سرعة
ولباقة لا قبيل لنا بهما . ولكن أئينى يا ابنتى كيف السبيل
إلى أن تبلغنى من خصومك ما تريدن ، وهؤلاء قوادنا
يريدون أن يقدموا فلا يتاح لهم الإقدام ؟ لقد وقف خَصَمُكَ
عن الهجوم ومنعتهم أن ينالوا منا ما يحبون ، فأبلغينا منهم
ما نحب ، وخلقى بين جيوشنا وبين الهجوم . فما أظن أنك
تريدين أن تتواقف الجيوش على هذا النحو دون أن يستطيع
فريق أن يبلغ من عدوه شيئاً .

قالت : « بل أنا لا أريد غير هذا يا أبت . »

ثم ابتسمت له ابتسامة ملؤها الحنان والبر وقالت : « ألم
تكن تذكرنى منذ حين بما يجب أن يستشعر قلبى من الرحمة
والرفق ، لا برعيتنا وحدها ولكن برعية هؤلاء المعتدين أيضاً ؟ !
فإن هذه الحرب ، كما كنت تقول ، لا تعنى رعيتنا ولا رعاياهم
من قريب أو بعيد ؛ وإنما هى شهوة جامحة دفعتهم إلى الشر
والكيد . فأردت أن ألقى شرهم بمثله ، وأن أدبر لكيدهم كيداً
مثله ؛ فما ينبغى أن نغامر نحن ويشقى الأبرياء ، وما ينبغى
أن يمس رعيتنا أو رعية أعدائنا سوء . وإنما الحرب بيننا وبينهم
تنافس في قوة الإرادة ، وتسابق إلى الصبر على المكروه .

فأينا ثبت حتى يستسلم خصمه فهو المنتصر ، وأينا سئم قبل أن يسأم عدوه فهو المهزوم . وما على الرعية إلا أن تشهد هذا الصراع الذى تجرى أحداثه بين سادتها وقادتها ، لِيَتَعَجَّبَ بهم إن شاءت ، فقد يكون من بينهم من هو خَلِيقٌ بالإعجاب ، ولتسخر منهم إن أحبت ، فقد يكون من بينهم من هو جلدِيرٌ بالسخرية . ولكن لتأمن على أنفسها ودمائها وأموالها ومرافقها على كل حال .

قال الملك : « مرحى يا ابنتى ! ما أحسن وقع ما تقولين فى نفسى ! وما أحبه إلى قلبى ! وما أدناه إلى المثل الأعلى الذى طالما أملتُه . وسموت إليه دون أن أبلغه ! أيمكن يا ابنتى أن تبلغيه ؟ ! أيمكن أن تبلغيه وأنا حاضر أشهد فوز الخير على الشر وانتصار الرحمة على القسوة ؟ »

قالت فائنة : « فإنك تشهد هذا كله يا أبت . لن ينالنا أعداؤنا بما نكره ، ولن ننال أعداءنا بما يكرهون ، ولكنهم سيفنون قوتهم فى غير طائل ، وسيكسرون حلتهم فى غير غناء ، وسيضيعون ما ادخروا من عُدَّةٍ وما هيثوا للحرب من أداة دون أن يحصلوا من وراء ذلك شيئاً ، سيفقدون سمعتهم فيما بينهم ، سيفقدون سلطانهم على رعاياهم ، وسيتقلب بعضهم لبعض عدوًّا ، وسيصبح بأسهم بينهم شديداً .

قال أحد القواد : « ونحن أيتها الأميرة ماذا نصنع ؟ وما حاجة الدولة إلينا منذ اليوم ؟ وما قيمة جيوش لا تخوض غمار الحرب ولا ترد عدوان المعتدى ولا تدفع غارة الغير ؟ » .

قالت فاتنة : « فإن الجيوش وسيلة لالتقاء الحرب لا لابتغائها ، وأداة لدفع الشر لا لاجتلابه . أفإن جنببتكم الحرب وضمنت لكم السلم والعافية تضحجون وتعجون ؟ ! من شاء منكم أن يغامر فليغامر بنفسه لا بالأبرياء من جنده . أفضضتم أن يُقبل جنودكم على الحرب محبين لها راغبين فيها ! ألسن تعلمون فيما بينكم وبين أنفسكم أن كل واحد منهم يُؤثر أن يفرغ حياته وعمله وأهله ، وأن يأخذ نصيبه من الدنيا دون أن يُعجّله عنه هذا الموت الذى تقضونه عليه لا لشيء إلا لهذه المغامرة التى تجرى مع دمائكم وتدفعكم إلى هذه الأحوال التى تحبونها لأنكم بآمن من آثارها ؟ ! » .

قال القواد : « فهل نفهم من ذلك أن الأميرة تعفينا من أعبائنا ، وتردنا إلى حياتنا الخاصة ، وتسرح الجيوش ، وتفرق الجند ؟ » ...

قالت فاتنة : « لا تفهموا من هذا شيئاً ، فلا أملك أن أعفى منكم أحداً ، ولا أشير على الملك بأن يعفى منكم أحداً ، ولا بأن يسرح الجيش ، ولا بأن يفرق الجند ؛ فالجرب محتملة دائماً ، والشر متوقع أبداً . وخير أن نحتاط للكوارث قبل أن

تقع ، ففعل ذلك أن يمنع وقوعها . فعودوا إلى مواضعكم من قيادة الجيش واثبتوا . فمن يدرى ! لعل الملك يحتاج إليكم .
وانصرف القواد وهم إلى السخط أقرب منهم إلى الرضا ،
وإلى المعصية أدنى منهم إلى الطاعة . فلما تفرقوا قالت فاتنة
لأبيها : « لقد انصرفوا ، وإن قلوبهم لمطوية على غير الوفاء
والولاء . ولكن التي عرفت كيف ترد عدوان المغير الخارجي
تعرف كيف تكبح ثورة الثائرين في داخل الوطن . »

قال الملك : « ألم يأن لك يا ابنتي أن تكاشفي أباك بشيء
من هذه الأسرار التي نُعميت عليه وعلى أهل المملكة جميعاً ؟ !
وما أرى إلا أنها معمة على أعدائنا . فانظري إليهم حائرين
ينفقون جهوداً لا تحصى ، ويحتملون أثقالاً لا تستقصى ،
ويرون مع ذلك أنهم ثابتون في أماكنهم التي كانوا يريدون
أن يغيروا علينا منها . »

ولم يكن الملك يقول إلا حقاً ! فقد كانت تلك المناظر
التي وصفناها آنفاً قائمة كما هي لم تتبدل : بحر مضطرب
مصطخب تكاد أمواجه تبلغ السماء ، ولكنها لا تكاد تبلغ
الساحل ، ورياح متناوذة متصايحة ، وسحاب متراكب متراكب ،
وقطع من الجبال تدور في الجو تلتقي لتفترق وتنفترق لتلتقي ،
ورعية الملك طهمان بن زهمان قد ثاب إليها الأمن وعادت إليها

الطمأنينة ، وجعلت تشهد هذه المناظر الرائعة معجبة بها راضية عنها ، متسلية بما تشهد منها ، كأنها في ملعب من ملاعب التمثيل ، أو في ميدان من هذه الميادين التي تعرض فيها الأعاجيب .
وقد أخذ أفراد الرعية يتحدث بعضهم إلى بعض عن بدائع هذا السحر وروائعه ، ويسأل بعضهم بعضاً عن مصطله ومدبره ، وقد سرى فيهم سريان البرق أن الأميرة هي مصطلر هذا السحر وهي التي دبّرته وقدرته ، وردّت ملوك الجن مدحورين في البر والبحر والجو جميعاً .

وكان أفراد الرعية يسمعون عن الأميرة أحاديث مختلطة مضطربة . يعرفون بحالها الرائع وحسنها البارع ، ويعرفون فتنها وفطنتها ، ويعرفون ذكاءها ونفاذ بصيرتها إلى ما لم تنفذ إليه قط بصائر الملوك والملكات . ولكن هذا كله كان يلقي إليهم إلقاء ، فيصدق حيناً ويرفض حيناً آخر ، ويسمع في غير اكتراث أكثر الأحيان . فأما الآن وقد رأت الرعية ما رأت وشهدت ما شهدت ، فأما الآن وقد كان الهول منها قيد إصبع ثم رداً عنها رد عنيفاً ، فأما الآن وهي ترى الهول قريباً منها بعيداً عنها ، محذوقاً بها عاجزاً عن أن يصيبها ، فقد أصبح إيمانها بالأميرة فتنة لا تشبهها فتنة ، وأصبح اسم الأميرة في كل فرد من أفراد الرعية لفظاً يدل على

حقيقة واقعة لا على لون من ألوان الحجاز ؛ فكل فرد من أفراد الرعية مفتون بالأميرة مشغوف بحبها هائم بقلوبها على ابتكار الأعاجيب وربما كان الملك أعظم من أفراد رعيته جميعاً افتتاناً بابنته وإعجاباً ببراعتها وإكباراً لسحرها هذا الذى ظن به الظنون ، ثم تبين أنه لم يوجهه إلى الشر كما تعود السحرة من الجن والإنس أن يوجهوا سحرهم ، وإنما هو موجه إلى الخير كل الخير ، موجه إلى عصمة النفوس وحقن الدماء وإقرار الأمن وحماية الصلات التى تقوم بين الدول على المودة والمعروف . وهو من أجل ذلك يلح على ابنته فى عطف مرة وفى استعطاف مرة أخرى أن تكشف له عن أسرار هذا السحر ، وأن تبين له دخائل هذه المعجزات . وابنته تطاوله وتماطله ، تلطف به حيناً وتعنف عليه حيناً آخر ، والعدو من حول المملكة والمدينة ماض فى جهاده العنيف السخيف الذى يكلفه كل جهد ، ولا يبلغه من وراء هذه الجهود شيئاً .

وتمضى على ذلك الأيام تتلوها الأيام ، والليالي تتبعها الليالي ، حتى انصرفت رعية طهمان بن زهمان عما كانت ترى ، وأعرضت عما كانت تشهد ، وأهملت ما كانت تخافه كل الخوف ، وازدرت ما كانت تُعجب به كل الإعجاب ، ومضت تضطرب فى حياتها تستأنف منها

ما كانت قد تركته حين ألت بها نذر الحرب . وكان الواحد من الجن من أهل المملكة يغزو على عمله ويروح إلى أهله ويتصرف في أمره كأن وطنه لم يتعرض لمحنة ولم يلم به مكروه ، وكأن جند العدو لا يملأ من حوله البر والبحر والجو . وما يعنيه من عدو يُفنى قوته دون أن يبلغ منه شيئاً ؟ .

فلما كان ذات يوم جلس الملك يحاور ابنته ويداورها يريد أن يعرف منها جلية هذا الأمر الغريب . وهى تلقاه بالإباء حيناً وبالذل والدعابة حيناً آخر . ولكن وزيره يدخل سعيداً مهللاً ، فيحیی ثم يؤذن الملك بأن سفراء العدو قد أقبلوا يُلَقون بأيديهم ويسألون السلم .

قال الملك : « فوجه هذا الحديث إلى التى حاربتهم فَحَرَبْتَهُمْ ، فأما أنا فلست لكم بملك منذ اليوم . لقد أخذت نصيبى من الملك وتركته ما بقى منه لابنتى هذه ؛ فهى ملكتكم منذ الآن ، وهى التى ستلقى السفراء وستملى عليهم السلم كما تشاؤنها هى لا كما أشاؤها أنا » .

ثم نهض الشيخ متاقلاً فضم ابنته إليه ضمّاً طويلاً ثم أجلسها مكانه وقدّم إليها تحية الملوك . هنالك تقدم الوزير إلى الملكة فحياها تحية الملك ، ثم خرج فأذن فى القصر والمدينة والمملكة بما كان من ارتقائها إلى العرش ونهوضها بأعباء السلطان ، وبأتها

هى التى ستلقى السفراء وستملئ عليهم شروط السلم كما تشاء .
وما أكثر ما وصفت لك يا مولاي ابتهاج المدن والممالك
حين يتزل ملك عن العرش ويرقى إليه ملك آخر ! . فقد
ابتهج قصر فاتنة ومدينتها ومملكها بارتقاءها إلى عرش آبائها
كما تعودوا أن يبتهجوا كلما تخلى عن عرشهم ملك وارتقى إليه
ملك . ولكن ابتهاجهم فى هذه المرة كان خالصاً صفواً
لا يخالطه حزن ولا يشوبه أسى .

فقد كان طهمان بن زهمان حياً بينهم ينتظرون أن يروه
لم يفارقهم إلى غير رجعة ، وكان حبهم له يزيد فى ابتهاجهم
بأبنته ، وكان إعجابهم بفاتنة يخرج بابتهاجهم عن الأطوار
المألوفة . ولو أن رعية عبدت ملكاً لعبدت رعية فاتنة مملكها .

وكان طهمان بن زهمان نفسه أسعد الجن بهذا الحدث
العظيم ، فقد كان يحب ابنته ويعجب بها ويفتن ببراعتها
كما قلت ، وكان يرى ارتقاءها إلى العرش حقاً وعدلاً
قد ردَّ السلطان إلى أهله ووكل الأمر إلى من ينبغى أن يوكل
إليه الأمر . وكان يرى نفسه أسعد من تقدمه من ملوك
الجن . فقد ختم ملكه عصرًا قديماً مضى بحسناته القليلة
وسيئاته الكثيرة . وبدأ ملك ابنته عصرًا جديداً يظهر أن
الحسنات فيه ستكون أكثر جدًّا من السيئات ، ومن يلقى !



لعله أن يكون خيراً كله . وكان طهمان بن زهمان ناعم البال
 قرير العين مبتهج النفس ، لأنه يشهد هذه النقلة الخطيرة
 في حياة الجن ؛ ويشهدها تتم على يد ابنته التي يؤثرها بالحب
 والعطف والحنان . وكان يقدر أنه قد أنفق ما أنفق من
 آلاف السنين وأنه قد أشرف من حياته على آخرها ،
 ولكنه مع ذلك يأنس في نفسه قوة وأيدا ، ويحس أن سيُمدد
 له في العمر حتى يرى ابنته وهي تدبر أمور الملك ، ولا يشك
 في أنه سيرى من تديرها العجب العجائب .

وانتهت أعياد المملكة ، وآن للسفراء أن تستقبلهم الملكة ؛
 فاستقبلتهم في حفل ساذج يسير لم يتعوده القصر ولم تتعوده
 الرعية ، فلم تقم زينات ولم يصطف الجنود ولم تجلس الملكة
 للناس في ذلك البهو العظيم من أبهاء القصر ، وإنما خلت
 إلى أبيها في غرفته تلك التي كانت تخلو فيها إليه ، وأذنت
 للوزراء وقادة الجند وساسة الملك . فلما أخذ كل منهم مجلسه
 أذنت للسفراء ؛ فلما أدخلوا عليها وتقدموا بتحية ملوكهم
 وسادتهم وهموا أن يطلبوا إليها السلم أشارت بيدها فاستمعوا
 لها ، فألقت إليهم هذه الكلمات في صوت هادئ ملاً قلوبهم
 رهبا ورعبا ، قالت : « تعلمون أن هذه الحرب لم تثر بين
 دولنا وإنما أثارها أشخاص ملوككم على شخصي ، فلا سفارة

في هذه الحرب ولا سفارة في هذا الصلح ؛ فعودوا إلى ملوككم موفورين ، وأبلغوهم أن من أراد منهم صلحاً فليتمسه بنفسه ساعياً إليه لا مسفراً فيه .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .
وامتنع النوم على شهر يار هذه المرة بعد أن انقطع حديث شهر زاد . ولكن أرقه لم يكن ثقيلاً عليه ولا بغيضاً إليه في هذه الليلة ؛ فلم يحتاج إلى أن ينهض من مضجعه ، ولم يشعر بالحاجة إلى النشاط الذي يذهله عن نفسه ويشغله عن خواطره ، وإنما كان حريصاً أشد الحرص على أن يخلو إلى نفسه ويفرغ لخواطره بعد أن شغل عنها وقتاً طويلاً بما مر به من الأحداث وما ألقى إليه من الأحاديث . وكان كل همه أن يخطئ النوم طريقه إليه ، وأن يبقى هو في مضجعه وادعاً مطمئناً يستعرض حياته هذه المعقدة أشد التعقيد الملتوية أشد الالتواء ، يستحضر ماضيه البعيد والقريب ، ويحاول أن يتصور حياته فيما يستقبل من الأيام . وكذلك أنفق بقية الليل مع نفسه ناظراً بين حين وحين إلى شهر زاد وهي مغرقة في نومها الهادئ كأنها لم تقص عليه شيئاً ولم تتحدث إليه بشيء . وكان يذكر أيامه تلك السود حين كانت امرأته تلك تتخذه عن نفسه وعن حبه وعن شرفه وتزدرية

فيما بينها وبين نفسها أشد الازدراء ، تستعين على ذلك بوصائفها ، وجواربها غير حافلة بما أعطت على نفسها من عهد ، ولا آية لجلال الملك ولا مقدرة لعواقب الحياة والغدر . وكان يذكر مرارة الانتقام وحلاوته ، ونار الغيرة تلك التي كانت تتأجج في صدره فتحرق قلبه تحريقاً وكانت مع ذلك برداً وسلاماً على نفسه الجريحة الثائرة .

ثم كان يذكر تلك الأيام السود التي أنفقها بعد مصرع نساء القصر نهباً مقسماً بين لذة الحب وشهوة الانتقام ، يُقبل على اللهو بقلب يظهر الفرح والمرح والابتهاج والغبطة ، وفي ضميره الغيظ والحقد والبغض الذي لا يطفىء جذوته إلا الدم المسفوك . أكانت أياماً يشرق فيها ضوء النهار ، أم كانت ليالي مظلمة لا يهتدى الضوء فيها إلى سبيل ؟!

أكان في تلك الأيام إنساناً يحس ويشعر ويفكر ويقدر ، أم كان قوة مدمرة لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ! ثم كان يذكر شهر زاد حين عرضها عليه أبوها الوزير وفي نفسه كثير من خوف وقليل من رجاء ، وحين أقبلت إليه مع الليل تظهر حباً وثقة وتضممر بغضاً وخوفاً ، ومن وراء ما تظهر وما تضممر حيلة واسعة وذكاء عجيب نفاذ .

ثم يذكر هذه الليالي المتتابعة التي شغلته فيها شهر زاد

بنفسها وقصصها عن الحب والبغض ، وعن الغيرة والانتقام ،
وعن نفسه وملكه ، حتى إذا انقضى القصص ورُدَّ إلى نفسه
ملكاً كما كان في تلك الأيام السود ردت إلى نفسه خواطرها
الحمر وعواطفها الثائرة وشهواتها المضطربة المختلطة ، ورُدَّ
إليها قبل كل شيء هذا القلق المتصل الذي يفسد الحياة على
الأحياء . ونظر فإذا هو بين نفسه هذه المضطربة القلقة
الثائرة التي لا يستطيع أن يخلو إليها وبين شهر زاد هذه الحبة
المبغضة الرحيمة القاسية الفاتنة المفتونة الواضحة الغامضة التي
لا يعرف لها كنهاً ولا يطمئن منها إلى حال . وهو مقسم
بين هذين النوعين من العذاب ، يخلو إلى نفسه فيشقيه
القلق والخوف ، ويخلو إلى زوجه فيشقيه الحب والشوق إلى المعرفة
والياس من إرضاء الحب ومن إرضاء الشوق إلى المعرفة .
ثم يذكر تلك الليلة التي آذنه فيها طائفه ذاك بأن شهر زاد
ستستأنف الطب لنفسه نائمة بعد أن كانت تطبّ لها بقطة .
وإذا هو يسمع من هذا القصص ما يسمع ، فينعم بشهر زاد
نائمة ويشقى بها مستيقظة .

وتشعر هي بذلك فتريد أن تطب له في الحالين ، فتخلط
يقظته بنومه وتجعله يحلم نائماً ويقظان . وإلا فأين هو الآن !
أين هو من قصره ومدينة ملكه ؟ ! أين هو من جنده وحاشيته ؟ !

أين هو من غرفته وأحراسه؟! ما هذا الزورق؟! وما هذه البحيرة التي يسبح فيها الزورق على غير هدى؟! كيف انتهى إليها! كيف حمل عليها! ماذا رأى فيها؟! ماذا عرف منها وماذا جهل؟! أناثم هو أم يقظان؟ أحالم هو أم عالم؟ أعاقل هو أم مجنون؟ ولكن ماذا؟ هذا صوت حلو يبلغ سمعه. إنه صوت شهر زاد، إنها تتحدث إليه. لقد أفاقت من نومها. إذا أين هو من الزمن؟ أفى الليل هو أم فى النهار؟! إنه يفتح عينيه ويقلبهما فى كل وجه فىرى نوراً لا يشبه النور وظلمة لا تشبه الظلمة. أناثم هو أم يقظان؟ أحالم هو أم عالم؟ أعاقل هو أم مجنون؟ ولكن حديث شهر زاد يصل إلى أذنه، ما فى ذلك شك. إنها تدعوه وتلح فى الدعاء. إن صوتها لا يخلو من دُعائها الساحرة الساحرة. إنها تنبئه بأنه ليس نائمًا ولا حالمًا ولا مجنونًا، ولكنه يقظان عالم عاقل، يحس نفسه كما هى، وبحس الأشياء من حوله كما هى، ويسمع صوت شهر زاد التي تتحدث إليه ويفهم عنها حديثها حق الفهم. ولكنه لا يكاد يطمئن إلى هذا الحديث. إنه ينكر هذا الطور من أطوار الزمن الذى لا يشبه النهار كما عرفه ولا يشبه الليل كما ألفه؛ لأنه ليس فى عالم الليل والنهار، وإنما هو فى عالم غريب من عوالم القصص. أفق يا مولاي

من نومك إن كنت نائماً ، ومن يقظتك إن كنت مستيقظاً ؛
 فلست في عالم الليل والنهار ، ولست في عالم النوم واليقظة ،
 ولست في عالم الحلم والعلم ، وإنما أنت في عالم يختلط فيه هذا كله ،
 ويشته فيه هذا كله ، ولا تميز فيه إلا نفسك وإلا حبيبك ،
 شهرزاد . أفق يا مولاي أو لا تفق ؛ فإن كلا الأمرين
 سواء . اسمع مني وتحدث إليّ أو لا تسمع مني ولا تتحدث
 إليّ ! فقد خلصت نفسك لي كما خلصت نفسي لك ،
 فليفرغ كل منا لصاحبه ، فقد غفل عنا كل شيء لأننا
 خرجنا من كل شيء وبعدنا عن كل شيء . افهم يا مولاي
 أو لا تفهم ؛ فليس من المهم أن تفهم أو لا تفهم ،
 وإنما المهم أن تتحدث نفسك إلى نفسي وأن يصل إلى نفسي
 حديث نفسك سواء أحمله إلى الصوت أم انتهت به إلى
 نجوى الضمير .

وأنفق الملك ما شاء أن ينفق من الوقت غائباً عن نفسه
 وشاهداً لها ، يحس في قوة لذة مثله أو ألماً لذيداً ، قد في
 في شهرزاد وفنيت فيه شهرزاد ، فعرف الحب حين يبلغ
 أشد أطواره عنفاً ، وعرف الحب حين يبلغ أعظم أطواره رقة
 وليناً ولطفاً . يجد ذلك كله في نفسه ، ولكنه لا يحسن تصويره
 ولا تصويره ولا وصفه ولا التعبير عنه ، وإنما امترجت نفسه

بنفس حبيته فأصبحت حباً خالصاً يسبح بهما زورق غريب
 في بحيرة غريبة وفي عالم ليس إلى تصويره ولا إلى تصويره من
 سبيل . عالم كان يقرأ عنه في الكتب حين كان المتصوفة
 يعرضون ما يعرضون من تلك الأطوار الغريبة التي لم يكن
 يتصورها ولم يكن يصدق أن إنساناً يستطيع أن يبلغها .
 أتكون شهر زاد هاديته إلى التصوف ومرشدته إلى الحقائق
 العليا وإلى عالم المعرفة الذي تطمح إليه نفس الإنسان طموحاً
 غامضاً وتشقى لأنها لا تبلغ منه ما تريد !

ومهما يكن من شيء فقد أخذ الملك يثوب إلى نفسه قليلاً
 قليلاً ويجد في هذا ألماً ممضاً ، ويحس كأنه يدفع إلى عالم
 لا عهد له به ، وكأن نفسه قد أصبحت غريبة في هذا الجسم
 الذي تُردّ إليه ، وكأنه قد ارتقى في الجو إلى أبعد ما يمكن أن
 يرتقى ثم أهبط فجأة إلى الأرض ، فكاد يَخْتَنق من سرعة
 الهبوط ، وكادت نياط قلبه أن تنقطع من شدة ما حبس
 عنه الهواء .

وأخذ الملك يحس كأن شهر زاد إلى جانبه تجد مثل
 ما يجد ، وتأم مثل ما يألم ، ويعاودها الشقاء كما يعاوده الشقاء .
 ثم ينظر فإذا هو إلى جانب شهر زاد قد وضع يده في يدها
 ينظر إليها دهشاً وتنظر إليه دهشة ، والزورق يسبح بهما دائماً

فى الماء والضوء والموسيقى والغناء . هنالك يسمع الملك صوت نفسه وهو يسأل شهر زاد وكأنه يأتى من بعيد : « أين نحن ؟ ! ماذا نسمع ؟ ! وماذا نرى ؟ ! ألا تنبئينى آخر الأمر من أنت وماذا تريدن ؟ ! » . ثم يسمع ضحك شهر زاد ساخراً ساحراً وصوتها مداعباً ملاعباً وهو يقول : « لقد رجعت إلى يا مولاي ورجعت إليك بعد غيبة طويلة .

انظر ! هذه شهر زاد تتحدث إلى شهر يار فى زورق من زوارق القصر على تلك البحيرة التى أشرف عليها القصر يوماً ما ، ومدّ إليها وما زال يمد إليها يدأ كأنه يريد أن يهوى إليها أو أن يأخذ منها شيئاً . انظر يا مولاي ! أترى إلى هذه الأسراب من الزوارق ترينها الغصون الخضراء والورق النضر والزهر البهيج ! إنها تسبح فيها كما يسبح هذا الزورق ، وفيها أزواج من الفتيات والفتيان قد نعموا كما نعمنا وألحموا كما ألما . وهم يعودون إلى حياتهم الهامدة الهامدة الراكدة كما نعود إليها ، وفى نفوسهم مثل ما فى نفوسنا من الحزن ، وفى قلوبهم مثل ما فى قلوبنا من الأسى . انظر يا مولاي ! املاً عينيك بما ترى ، وأذنتك بما تسمع ، ونفسك بما تشهد ، فلن يبق لك من هذا كله إلا الذكرى . انظر يا مولاي ! بحيرة من ماء يغمرها بحر من ضياء وبحر من موسيقى وبحر من

غناء ، ويقوم عليها إلى حين قصر ملك من الملوك شقى فيه وسعد ، ونعم فيه وإبتأس ، ثم خرج منه فخرج من سعادة الناس وشقائهم ومن نعيم الناس وبؤسهم حيناً طويلاً أو قصيراً ، ثم هو يعود إليه ليستأنف فيه حظه من سعادة الناس وشقائهم ومن نعيم الناس وبؤسهم .

قال الملك في صوت حزين كأنما يأتي من بعيد : « أليس يمكن أن ننأى عن هذا القصر إلى آخر الدهر ؟ ! » .

قالت شهر زاد : « ليس ذلك في طاقة القصص يا مولاي ؛ وإنما القصص فرجة من حياة الناس تطل على عالم المثل العليا يخرج الناس منها ليعودوا إليها . هلم يا مولاي ! . ألا ترى أن الزورق قد انتهى بنا إلى حيث دعانا إلى نفسه منذ حين ! ألا تسمع دعاء القصر ؟ ! إنه يلح علينا في أن نصعد لننعم كما كنا ننعم ، ونأسى كما كنا نأسى . »

وتنهض شهر زاد وتأخذ بيد الملك ، وإذا هما في ذلك البهو الذى تنامت أرجاؤه وتباعدت أطرافه وأحاطت به البحيرة من جهاته الثلاث ، وغمره ذلك الجو الغريب من الموسيقى والغناء ، وإذا شهر زاد قد أجلست الملك في مجلسه ذاك ، وجلست إلى جانبه رفيقة به عطوفة عليه ، تسأله بصوتها الهادئ العذب الذى يمتزج بما حوله من الموسيقى : « أيرى

مولاي أن شهر زاد قد وقت بما قدمت له من وعد ؟ .
ثم ينظر الملك فلا يملك أن يدفع صيحة منكرة ملؤها
الدهش والحق والغیظ : « ماذا ؟ أين أنا ؟ » ولكن رئيسة
الوصائف تتقدم إليه فتحياه ثم تقول : « أرجو أن يكون
مولانا قد أنفق وقتاً سعيداً » .

٧

وأوى الملك إلى مضجعه من ليلته تلك ، وأحب شيء
إليه أن يعود إلى ليل الناس ، فينام كما ينامون ، لا يعتاده
الأرق ولا يوقظه الطيف ولا يسليه القصص النائم أو القصص
المستيقظ . فنفس الإنسان مؤوم ، وقدرتها على احتمال
الأعاجيب محدودة . وقد احتملت نفس شهر بار من الأعاجيب
أكثر مما كانت تطيق . فليعد رجلا من الناس ، وليحى
بغرائره الجاحمة وعقله المتواضع الضئيل كما يحبون ، من له
بذلك ! وما سبيله على النوم ! وما سلطانه على الأطياف !
إنه لمخرق في نومه قد فقد نفسه وفقدته نفسه . ولكن هذا صوت
الطائف يبلغ أذنيه ، وهذا شيء كأنه يد الطائف يمس
كتفه ، وهذه الكلمة تلتقي في روعه : ما أسرع ما مشمت
قصص شهر زاد ! أسرع فإنها توشك أن تتحدث إلى نفسها .

وينهض الملك مسرعاً لا يلقى على شيء ، فيسعى من غرفته إلى غرفة الملكة ، ويمر بأحراسه وبأحراس الملكة غير ملتفت إليهم ولا حافل بهم ، وينسل إلى غرفة الملكة رفيقاً رقيقاً حتى يأخذ مجلسه ذاك الذى تعود أن يأخذه كأن العهد به لم ينقطع ، وإذا هو مصغ قد جمع نفسه كلها وضم بعض أجزائها إلى بعض كما تنضم أوراق الزهرة التى تنتظر لتفتح أن تمسها قطرة الندى . وهذه قطرة الندى تمس نفس شهر يار ؛ فهذا الصوت المعروف المألوف يقول : « فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد الألف قالت شهر زاد » .

ثم ينقطع الصوت وتستأنف شهر زاد حديثها قائلة : « بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة فاتنة ردت على ملوك الجن سفراءهم ، وأبت أن تسمع طلب السلم إلا من الذين شبوا نار الحرب . وقد عاد السفراء إلى ساداتهم مخذولين مدحورين . ولكن وزراء الملكة ورجال حاشيتها أنكروا فى أنفسهم صنيع مولاتهم بالسفراء ومن أرسلوهم ، ولم يستطيعوا مع ذلك أن يجهروا بما أضمرُوا أو أن يعلنوا ما أسروا . وعرفت الملكة ذلك ، فلم تسألم عنه ولم تبادلهم بشيء منه . على أن أباه طهمان بن زهمان هو الذى اجترأ عليها هذه المرة كما اجترأ عليها حين تحدث ملوك الجن ودعوتهم إلى الحرب .

قال طهمان بن زهمان : « لم يبق لي من الأمر شيء يا ابنتي
يبيح لي أن أتحدث إليك فيما تبرمين أو تنقصين . بل لم يكن
لي من الأمر شيء قبل أن أنزل لك عن هذا الملك الذي أنت
أحق به مني وأقدر بشبابك وحكمتك وفطنتك على تدبيره
وتصريف أموره من هذا الشيخ القاني الضعيف . فلست
أتحدث إليك الآن لأن لي في الحديث حقاً يبيحه لي القانون
أو تخولني إياه مراسم الملك ، وإنما أنا أب يتحدث إلى
ابنته . ومن حق الآباء يا ابنتي بل من الحق عليهم أن ينصحوا
لأبنائهم وإن كان من العسير على الشباب الذين يستقبلون
الحياة واثقين بأنفسهم وبالحياة أن يسمعوا لنصح الشيوخ
الذين يستدبرون العيش شاكّين في أنفسهم وفي العيش .
فهبيني أريد أن أريح نفسي حين أراجعك فيما أصدرت
من أمر . إنك ملكة يا ابنتي ، وللملك حرمة وقُدس .
وما أرى إلا أنك حريصة على أن ترعى حرمتك ويوقر لك
ما أنت جديرة به من الإكبار وأحسب أن أول ما يجب عليك
في ذلك هو أن تؤدي إلى غير ما تحبين أن يؤديه غيرك إليك .
وقد كانت بينك وبين هؤلاء الملوك حرب أعلنها السفراء ،
ويراد أن يكون بينك وبين هؤلاء الملوك سلم يطلبها السفراء
ويقررونها . فما عدولك عن هذه الطريق المألوفة ؟ وما

ابتداعك سنة لم يعرفها ملوك الجن فيما توارثوا من السنن
بالتقاليد ؟ ! .

وسيقول بعض شعراء الناس في يوم قريب أو بعيد :
فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر
وهذا اليوم لك يا ابنتي فلا تَبْطَرِي ولا تأشري ولا تسرفي
على عدوك المنهزمين . وخصمك المقهورين ؛ فقد يكون يوم
آخر عليك فيأشر عدوك كما أشرت ، ويبطر خصمك كما
بطرت ، ويسرفون عليك كما أسرفت عليهم ، ويردون سفراءك
مهينين كما رددت سفراءهم مهينين .

وشيء آخر يا ابنتي وددت لو قدرته وفكرت فيه ؛ فقد
كان هؤلاء الملوك يستطيعون أن يرجعوا عن حربك كما أقدموا
عليها دون أن يسفروا إليك أو يعرضوا عليك صلحاً ،
ينتظرون أن تلور الأيام لهم بعد أن دارت عليهم ؛ ولكنهم
قبلوا الأمر الواقع ومضوا على سنة الملوك من قبلهم ، فاعترفوا
لك بالغلب وألقوا إليك السلم وطلبوا منك الصلح . فاحذري
وقد لقيتهم هذا اللقاء ورددت مجاملتهم هذا الرد أن يعودوا
أحراجهم وأن يطاولوا ويماطلوا وينتظروا معاودة الحظ لهم ،
وأن يبقى الأمر بينك وبينهم مختلطاً مضطرباً لا هو بالسلم
التي تستأنف فيها الصلات بين الأمم والشعوب ، ولا هو

بالحرب التي يكون فيها الغالب والمغلوب . وما أظن يا ابنتي أنك تريدن أن تغيري على هؤلاء الملوك في ممالكهم ولا أن تغزو جيوشك كل واحد منهم في عقر داره فقتلك لا تبلغ هذا ، وحبك للرعية يأبى عليك أن تعرضيها لحرب الهجوم بعد أن عصمتها من حرب الدفاع . وإذا فسيتبقى الأمر معلقاً بينك وبين أعدائك حتى يستأنفوا الحرب أو ترهدي أنت هذه الحال المعلقة فتطلبين إليهم السلم ، ويوشك كل واحد منهم أن يرد عليك سفراءك كما رددت عليه سفراءه . وبعد ؛ فإن الملوك لا يعاملون أنفسهم هذه المعاملة ، ولا يطلب أحدهم إلى الآخر أن يذل ويستكين ويسعى طالباً للصالح ومعطياً بيده . كان ذلك يحزى في الزمن القديم قبل أن تتحضر الجحى وتتقرر القواعد التي تنظم العلاقات بين الأمم والشعوب وبين الدول والملوك . فأما الآن فإن نظام السفراء لم يخترع عبثاً ، وإنما أنشئ لمثل هذا الأمر الذي أتم فيه .

قالت الملكة باسمة : وأحجب إلى بكل ما تأمرني به يا أبت وبكل ما تشير به علي ؛ فأنت الملك وستظل الملك دائماً ، وإنما أنا رعية لك . وإذا نهضت بالأمر فإنما أنهض به لأن طاعتك علي واجبة ، ولأن شبابي وقاء لشيخونتك .

وكل ما قلته لى حتى لا غموض فيه ولا غبار عليه لولا أنى
ضامنة أن هؤلاء الملوك الذين أثاروا حربهم ظالمين لن
يستطيعوا أن يعودوا إلى ممالكهم حتى آذن لهم بهذه العودة .
فإن السر الذى أتاح لى أن أحول بينهم وبين الفوز يتيح
لى أن أحول بينهم وبين الإياب إلى أوطانهم . فهم معلقون
بأمرى بين النصر والهزيمة : لن يُنصروا لأنى لا أريد لهم أن
ينصروا ، ولن يرجعوا لأنى أبى عليهم أن يرجعوا .
قال طهمان بن زهمان : « ويحك يا ابنتى ! أتستطيعين
ذلك ؟ » .

قالت : « كما استطعت أن أقضهم موقفهم هذا لا
يتقدمون خطوة » .

قل طهمان بن زهمان : « إن كل أمرك غير مفهوم
يا ابنتى . ويظهر أنك لا تريدان أن أفهم منه شيئاً » .

قالت الملكة باسمه : « من يدرى ! لعلك تفهم منه كل
شئ فى وقت قريب أقرب جداً مما تظن ، ولكنك تنكر
على ردى للسفراء ومعاملتى للملوك . بغير ما جرى به العرف
وحلى إياهم على ما لا ينبغى لهم من الذلة والهوان . وقد كان
هذا حقاً لو أنى أثرت عليهم حرباً ظالمة . وقد كان هذا حقاً
لو أنهم أثاروا على حرباً دعا إليها اختلاف مصالح الشعوب

وتباين منافعها وتقديرهم لهذه المصالح والمنافع ، سواء أكان هذا التقدير خطأ أم صواباً ، ولكنهم أثاروا حرباً ظالمة لم تقتضها مصلحة عامة ولم تدع إليها منفعة عاجلة أو آجلة لأمة من أممهم أو شعب من شعوبهم ؛ إنما اتبع كل منهم هواه وركب رأسه وانقاد لشهوته الجامحة .

وقد كنت تذكرنى يا أبت بأن هذه الحرب إنما أثرت لأن هؤلاء الملوك يحبونى ويخطبونى وأنا لا أحب منهم أحداً ولا أرضى لنفسى من بينهم زوجاً . وكنت تذكرنى بأن هذا الأمر لا يعنى رعيتنا ولا رعايانا من قريب أو بعيد . فهذا الظلم الصارخ ، وهذا العدوان المنكر ، وهذا الإهدار لحقوق الشعوب ، وهذه التضحية الآثمة بالنفوس التى أمر الله أن تُعَصِّمَ والدماء التى أمر الله أن تُحَقِّقَ والحرمات التى أمر الله أن تُرْعَى ، فى سبيل شهوة فردية لا تعتمد على ما يشبه الحق أو العدل ، كل هذا خلق أن يهلس حق مقترفيه فى طاعة الشعوب ، وكل هذا خلق أن يلغى حق مقترفيه فى النهوض بأمر السلطان .

فهؤلاء المعتدون عندى ليسوا ملوكاً ولا أشباه ملوك ، وإنما هم عندى طغاة ظالمون . فإن للملك حقوقه ، ما فى ذلك شك ؛ ولكن هذه الحقوق رهينة بواجبات ينبغى أن تؤدى ؛

فإذا ضيعت الواجبات أهملت الحقوق .

فالسفراء الذين أقبلوا على ثم ردُّوا مَخْلولين على سادتهم لم يكونوا سفراء ملوك يأخذون الملك بحقه ، وإنما كانوا سفراء طغاة قد فقدوا حقوقهم على رعيّتهم كما فقدوا حقوقهم على نظائريهم . وما أكره أن تلور الأيام على بمثل ما دارت به عليهم إن اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا ، واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا ، وجنيت من السيئات ما يجعلني لذلك أهلاً .

وقد تعلمت منك يا أبت أكثر مما تظن أني تعلمت . وأول ما تعلمت منك أن آخذ ملكي بحقه ، وأن أنهض بما على من واجب قبل أن أطلب ما لي من حق ، وأن أبيع للشعب معصيتي والخروج على وإهدار سلطاني عليه ، إذا لم أعرف له حقه ، ولم أؤد إليه ما ينتظر أن أؤدى إليه . فلا بأس عليك ، ولا بأس عليّ ، ولا بأس على رعيّتنا من هذه الخطوة التي اتخذتها . وانظر ! فهذا وزيرنا قد أقبل ينبئنا بأن عدونا قد قبلوا ما فرضنا عليهم من شرط ، وهم يريدون أن ننظم وفودهم علينا واستقبالنا لهم .

وكان الوزير قد دخل أثناء حديث الملكة . فلما سمع آخر هذا الحديث حيّاً وقال : « إن الأمر كما ترين .

يا مولاي ، وإن عدوك يطلبون كيف يكون وفودهم عليك وكيف يكون استقبالك لهم ؟ »

قالت الملكة : « فكيف ترى أن يكون ذلك أيها الوزير ؟ ! »
قال الوزير : « ملوك يا مولاي ، فيجب أن يستقبلوا كما يستقبل الملوك ، ومراسم ذلك معروفة مقررة » .

قالت الملكة وهي تضحك : « بل طغاة بغاة يا سيدي ، فيجب أن يستقبلوا كما يستقبل الطغاة البغاة . تلقّهم أنت إن شئت . أما أنا فلن ألقاهم ، ولك أن توكل بلقائهم من أحببت . فإذا مثلوا بين يديك ، أو بين يدي وكلائك فخيرهم بين الموت وبين أن يشهدوا على أنفسهم بالطغيان وإهدار حقوق الشعوب . فأبهم اختار الموت فجرعه كأمه ، وأبهم اختار الحياة - وكلهم سيختارها - وأشهد على نفسه أنه طاغية مهمل لحق شعبه ، فليخلص نفسه من الملك وليسلق إلينا بيده ، ونحن نسلمه بعد ذلك إلى وطنه يصنع به ما يشاء . ثم لا تراجعني في أمرهم بشيء قبل أن تنفذ ما قدمت إليك » .

وتم كل شيء يا مولاي كما أرادت الملكة وردّت إلى شعوب ، ألحقت حقوقها المغصوبة ، وحرّياتها المسلوبة ، وتأذّنت فاتنة في شعبها وفي الشعوب الأخرى بأن أمور الأمم

إليها تُشرك فيها من الملوك والرؤساء من تشاء وكيف تشاء ،
وتقيد ملوكها ورؤساءها من القوانين بما تحب ، وتشرف
على إنفاذ ملوكها ورؤسائها لإنفاذ هذه القوانين ، وتتحفف
من الملوك والرؤساء إن خالفوا عن هذه القوانين .

وأقامت شعوب الجحْن يا مولاي لهذا الحدث أعياداً رائعة ،
وأرخت به منذ كان وما زالت تؤرخ به إلى الآن . وجعل
الجحْن يتنزلون ببعضه إلى الإنس بين حين وحين ، فيفهم
الناس عنهم ذلك حيناً ويخطئون الفهم في أكثر الأحيان .
وهذا مصدر ما نرى عند الناس من الاختلاف في نظم الحكم
ومن اضطراب العلاقات بين الرعية ورؤسائها وبين الأمم
والدول .

ومن يدري يا مولاي ! لعل علم الجحْن أن يصل إلى الناس
ذات يوم أو ذات قرن واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا غموض .
أو لعل عقول الناس أن ترتقي ذات يوم أو ذات قرن إلى
حيث تفهم عن الجحْن في غير مشقة ولا جهد . يومئذ أو
قرئذ تصلح أمور الإنسان كما صلحت أمور الجان .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .
ولم يأوِ الملك في مضجعه حين عاد إلى غرفته كما كان
يقدر أنه سيفعل . ولم يذهب إلى نافذة من نوافذ الغرفة

ولا إلى طُنف من أطناف القصر ليشرف على الحديقة ويستنشق الهواء الطلق كما تعود أن يفعل من قبل ، وإنما عكف على نفسه يتدبر ما سمع ويستحضر ما شهد ويتذكر ما رأى ، وكأنه أنسى نفسه في هذا العكوف ، حتى أقبلت شهر زاد وقد ارتفع النهار . فلما أحس مقدمها رفع رأسه إليها دهشاً وهم أن يتكلم ، ولكنه رأى في وجهها الجِد ، وسمعها تقول في صوت حازم باسم معاً : « لشد ما هانت عليك أمور الملك يا مولاي ! هأنت ذا تخلو إلى نفسك في زاوية من زوايا غرفتك كأنك فرد من أفراد الناس قد فرغ للفلسفة والتفكير . ألم تحاسب نفسك على هذا الوقت الطويل الذى أنفقته في غير شؤون الملك ؟ ألم يخطر لك أن للشعب حقوقاً يجب أن تؤدى إليه ، وأن أوقات الملوك ليست خالصة لهم من دون الرعية-١٩ » .

قال الملك دهشاً في صوت كأنه يأتي من بعيد : « يا عجباً ! كأنما أسمع حديث فاتنة » .

قالت شهر زاد ذاهلة : « فاتنة ! فاتنة ! ليس هذا الاسم على غريباً ، وأحسب أن لى به عهداً قريباً » .

القدس سبتمبر سنة ١٩٤٢

الإسكندرية يناير سنة ١٩٤٣

دارالمعارف بمطرب

تقدم هذه المجموعة النفيسة من بعض مؤلفات الأستاذ الدكتور طه حسين :

- على وبنوه ٢٨٠ صفحة . قطع كبير الثمن ٦٠ قرشاً
- أديب ١٨٤ صفحة . قطع صغير الثمن ٢٥ قرشاً
- الشيخان ٣٠٤ صفحات . قطع صغير الثمن ٣٥ قرشاً
- قاعة الفكر ١٥٦ صفحة . قطع صغير الثمن ٣٠ قرشاً
- الأيام الجزء الأول ١٥٢ صفحة . قطع صغير الثمن ٢٢ قرشاً
- نظام الأثينيين ١٩٢ صفحة . قطع متوسط الثمن ٢٥ قرشاً
- الجزء الثاني ١٨٤ صفحة . قطع صغير الثمن ٢٥ قرشاً

طباعات جديدة تحت الطبع :

- عثمان
- مع المتنبي
- من حديث الشعر والنثر
- من الأدب التمثيلي اليوناني

٥ قروش ج.ع.م.	١٠٠ ملجم في ليبيا	١٥٠٠ ديناراً في الجزائر
٦٠ ق. ل	٧٥ فلساً في العراق والأردن	١٥٠ فرنكاً في المغرب
٧٥ ق. س	١٢٠ فلساً في الكويت	١ ريالاً سعودي
٦٠ مليماً في السودان	١٢٥ مليماً في تونس	